بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

١١

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد الحادي عشر - ربيع الأول ١٤٢٩هـ / نيسان (أبريل) ٢٠٠٨م

- **الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب**
- **تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية**

المراسلات:

فاكس: 88321616 9821+ هاتف: 88321411 9821+

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب
ملحق
رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام
الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ . ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ . المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ١١

حول مؤتمرات التقريب ٤
رسائل القرآن ٨
الإبداع والمشروع الديني........................... ١٤
الإبداع والكلمة الطيبة........................... ٢٢
الإبداع والبدعة........................... ٢٥
الإبداع فيما ينفع الناس........................... ٢٨
الإبداع والعزّة........................... ٣١
الإبداع والتعارف........................... ٣٥
بين التجديد والمرونة........................... ٤٠
نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة........................... ٥٠
الموقف من الآخر........................... ٥٩
الحوار الفكري بين أبناء الأمة الإسلامية........................... ٧٧
البناء المعرفي والتقريب ٨٢
كومنولث إسلامي مشروع مالك بن نبي للوحدة........................... ٩٤
إنّ الجسوم تخفّ بالأرواح........................... ١٠٢
كتاب في التقريب ـ قصة الطوائف........................... ١٠٥
المثقفون وهاجس النهضة ١١١
دمشق في الشعر الفارسي........................... ١١٦
عروبة أمريكانيّة ١٢٣
موضوعات الساعة........................... ١٢٧

حول مؤتمرات التقريب

من النشاطات التي ينظّمها المهتمون بالتقريب إقامة مؤتمرات الوحدة والتقريب، وهي مؤتمرات تتخذ عادة عناوين خاصّة تصبّ في اتجاه وحدة الأمة بمذاهبها المعتبرة المعروفة، وغالبًا ما يكون التوجّه نحو نزع فتيل النزاع الطائفي بين السنّة والشيعة، خاصّة بعد أن عصفت بعالمنا الاسلامي أحداث طائفية مؤسفة، خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

والسؤال الذي يساور الأذهان عادة يدور حول جدوى هذه المؤتمرات، وقدرتها على تحقيق أهدافها في وحدة الأمة وإزالة الحساسيات الطائفية.

من الواضح أن أي مؤتمر من المؤتمرات يتوقّف نجاحه على أهداف المقيمين وبُعد نظرتهم، وعلى عمق المشاركين وإخلاصهم لأهداف المؤتمر.

ومن الواضح أيضا أن مؤتمرات التقريب تتميّز عن سائر المؤتمرات، لأنّ الموضوع حسّاس للغاية، له ارتباط بالموروث التاريخي، وبغياب حالة الحوار بين المسلمين، وبالمصالح السياسية الداخلية والخارجيّة.. ولذلك يقترن أحيانًا بالاحتقان، وأهمّ من ذلك يقترن أحيانًا بالاختراق.

قضيّة الاختراق لاتقتصر آثارها السيئة على مؤتمرات التقريب، بل على مجمل حركة التقريب. فكم من الكتب الطائفية ومن الإثارات الطائفية ومن الحروب الطائفيّة تموّلها السفارات الاجنبيّة.. والوثائق في هذا المجال لا تعدّ ولا تُحصى.

بالأمس دار حديث بين مفكرَين مسلمَين سنّي وشيعيّ، في إحدى الفضائيات، وكان المفكر السنيّ يشير إلى بعض كتب الإثارات الطائفية.. ونحن نعلم علم اليقين أنها من صنع استخبارات دولة أجنبية عريقة في التآمر على العالم الإسلامي.

أعود إلى مؤتمرات التقريب، وأكرر أن ثمة مؤثرات لها علاقة بمقدار نجاح هذه المؤتمرات: القائمون عليها، والمشاركون فيها، والتأثيرات الأجنبية عليها.

القائمون على مؤتمرات التقريب قد يكونون مخلصين للتقريب، وقد يكون الهدف سياسيًا لتسويق مصلحة من مصالح الحكّام، وقد يكون والعياذ بالله مستهدِفًا نسفَ فكرة التقريب، من خلال إثارة تشنّجات تزيد من الاحتقان الطائفي.

هذا كلّه في عالم الاحتمال، لكنّا نحمل جميعها على محمل حَسَن، ونرجو أن تكون كلّها خالصة مخلصة لوجهه الكريم ولمصلحة وحدة هذه الأمة.

بالنسبة للقائمين على مؤتمرات التقريب في إيران، لا نريد أن نزكّي على الله أحداً، ولكن نقولها من خلال معرفة قريبة

بالأفراد، ومعايشة طويلة مع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، وعملٍ في جامعة التقريب، ومعرفة كاملة بأهداف كبار المسؤولين في هذا البلد، وانطلاقًا مما تقتضية مصلحة النظام والحكم فيه.

إنّ أهدافَ القائمين على مؤتمرات التقريب بطهران خالصةٌ مخلصة. يرون في «التقريب» فريضةً تتطلبها رسالة الإسلام لاقتران التوحيد بالوحدة، وضرورةً تفرضها مصلحة الإسلام ومصلحة النظام الذي ارتبطت مصلحته بالمصلحة الإسلاميّة العامة للأمة.

أما المجتمعون فيه فهم لم ينزلوا من السماء، بل من هذه الأرض التي فيها التنوّع في الإخلاص وفي الأفكار وفي المشاعر..

لكنّ الذي لاشكّ فيه أن المخلصين لربّهم ولرسالتهم، يخرجون من هذه المؤتمرات إما بفكر تقريبي ومشروع تقريبي يساعدهم على مواصلة عملهم في المستقبل، أو يخرجون منه، على الأقل، بتقليل ما في أذهانهم من حساسيات وموروث طائفي.

ثم إن الجوّ المشهود في هذه المؤتمرات هو الصراحة التامة والشفافية الكاملة، تُطرح أكثر المسائل حساسيّة وأشدّها إثارة.. ويتوجّه الكلام بعدها إلى إزالة ما علق في الأذهان من شبهات، وأهمّ من ذلك الاتفاق على أن نتعاون فيما اتفقنا عليه (وما أكثره.. وما أكثره!!) ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

جدير بالذكر أن مؤتمرات التقريب في طهران اتجهت خلال الأعوام الأخيرة نحو طرح الهموم الإسلامية الكبرى التي تتحدى كل الأمة، مثل قضية العولمة، والمستقبل الحضاري للمسلمين، والأقليات المسلمة في الغرب، وقضية فلسطين، ومقاومة الاحتلال و... أمثالها مما يرفع من مستوى الهمّ الاسلامي ويبعده عن الصغائر..

وهذا المؤتمر الأخير ينعقد لمناقشة مسألة هامّة هي إقرار ميثاق الوحدة الإسلاميّة، على المستوى الفكري والعملي. وهو يحدّد الخطوط والأطر العامة والتفصيليّة لحركة الأمة نحو تحقيق وحدتها.

ويبقى السؤال عن مدى ما سيحققه هذا الميثاق من نجاح.. هذا أيضًا يتوقّف على الإخلاص والوعي والتحرر من الذاتيات والأنانيات. ولا يمكن أن يكون المشروع التقريبي بمؤتمراته وجميع نشاطاته بمعزل على الوضع القائم على الساحة الإسلامية بكلّ ملابساتها السلبية والإيجابية.

نسأل الله الإخلاص في العمل.. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

التحرير

رسائل القرآن*

محسن قراءتي **

٣٠- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

رسائل الآية

● ذكر الله سبحانه في الآية السابقة المواهبَ المخلوقة في الأرض لبني البشر، وفي هذه الآية والآيات التي تليها يقرر القرآن مبدأ خلافة الإنسان في الأرض، لاستثمار تلك المواهب.

● الجانب المادّي من خلقة الإنسان يفرز تناقضًا يؤدّي إلى الصراعات الدموية، ولعلّ هذا هو الذي حدا بالملائكة إلى توقّع الإفساد وسفك الدماء من هذا المخلوق.

● كل واحد من أفراد البشر له قابلية أن يكون خليفة الله في الأرض، لكنهم ليسوا جميعًا على هذا المستوى من الارتفاع إلى تلك القابلية، فهناك من يسلكون طريق السقوط والانحطاط، حتى يقول عنهم القرآن : ﴿ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾.

● جعل الله هذا الخليفة ﴿في الأرض﴾، لكنه مؤهّل لأن يرتفع إلى ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾.

---

* - داعية إسلامي معروف

** - غيرنا العنوان ابتداءًا من هذا العدد، وصار رسائل القرآن بدل نداءات القرآن.

● في الآية درسٌ بشأن فسح المجال للسؤال. وسؤال الملائكة جاء في إطار هذه السماح الربّاني. رغم أنهم كانوا على علم بأن كل خلق وراءه حكمة بالغة.

● إخبار الملائكة بخلق الإنسان، يدل على أهميّة هذا المخلوق وخصوصيّته بين المخلوقات، فقد ﴿ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾، وبارك الله نفسه بعد خلقته: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾.

● استخلاف الإنسان في الأرض ليس عن حاجة الله لهذا الموجود، بل إنه سبحانه رَفَعه إلى هذا المقام لتكريم الإنسانية وتقرير فضيلتها. ثم إن نظام الخليقة يقوم على أساس العلل والوسائط. فالله سبحانه هو المدبّر لكنّ الملائكة وسائط هذا التدبير: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ وهو سبحانه الشافي، لكنه تعالى جعل العسل: ﴿ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ﴾. ومع أن الغيب خاص به سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ ﴾، لكنه يمنح بعض عباده الصالحين هذا العلم ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾.

● حين يرتفع الإنسان إلى مستوى مسؤولية الخلافة في الأرض تكون إطاعة هذا الإنسان مثل إطاعة الله سبحانه: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ وبيعتُهُ بيعةُ الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ وحبّه حبٌ لله: «من أحبكم فقد أحبَّ الله» كما جاء في نصوص مخاطبة أهل بيت رسول الله(ص).

● من أجل الحكم على الموجودات لابدّ أن نضع جوانب الخير والشرّ مع بعضها، ثم نصدر حكمنا دون تسرّع. الملائكة نظروا إلى

جانب واحد فقط ، هو أن تسبيحهم بحمد الله يفوق الإنسان. وإبليس نظر من زاوية واحدة، وهي أنه مخلوق من نار وآدم من طين. بينما النظرة الإلهية شموليّة، وقررت أن الانسان هو الأفضل فقال سبحانه: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾.

● ما خلق الله سبحانه في الأرض إنّما هو مقدمة لعملية استخلاف الأنسان فيها: ﴿خَلَق لكم ما في الأرض جيمعًا.. إذ قال ربك للملائكة﴾ وفي نهج البلاغة: «فلما مهّد أرضه وأنفذ أمره اختار آدم» (الخطبة ٩١).

● الله تعالى بيده مقاليد السماوات والأرض، والاستخلاف إنما هو بيده سبحانه، ولذلك لا ينال هذه المرتبة المنحرفون عن طريق الله: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة/ ١٢٤.

● استخلاف الإنسان في الأرض مستمر حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ ﴾ وجاعل اسم فاعل يفيد المواصلة والاستمرار.

● الفساد.. وسفك الدماء خصلة مستمرة في الإنسان المنحرف عن طريق الله: ﴿يفسد.. ويفسك﴾ والفصل المضارع يفيد الاستمرار أيضًا.

● خليفة الله ينبغي أن يكون بعيدًا عن الفساد في الأرض.

● لا مانع من أن يتحدث فرد عن لياقته الشخصية، إن لم تكن تنطوي على حَسَدٍ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾.

● معيار اللياقة ليس هو العبادة والتسبيح فقط: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾.

● لا يجوز إلغاء فُرص النموّ والتكامل إمام جماعة بسبب فساد جماعة أخرى وانحرافها، فالله سبحانه يعلم بما يصدر عن الظالمين من فساد وسفك دماء، لكنه تعالى لم يسلب نعمةَ الوجود من الجيمع.

● حالة الإطاعة والتسليم لا تتنافى مع التساؤل لرفع الابهام. فقد سأل الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾.

● ما طرحه الملائكة من فساد الإنسان وسفكه الدماء لم يرفضه الله سبحانه، لكنه تعالى بيّن المصلحة الأهم وأوضح ما يتحلّى به الإنسان من كفاءة وأفضليّة: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾.

● لا ينبغي أن نتوقّع من الناس قبول أقوالنا، دونما أي تساؤل، فالملائكة سألوا الله أيضًا: قالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾

٣١- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

الرسائل

● الأسماء هي كل ما يحتاجه الإنسان لممارسة خلافته في الأرض من معارف. وقد روي عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذه الآية فقال: «الأرضين والجبال والشعاب والأودية» ثم نظر إلى بساط تحته فقال: «وهذا البساط مما علّمه»

● المعلم الحقيقي هو الله سبحانه، والقلم والبيان والأستاذ والكتاب إنما هي ممهّدات التعليم: ﴿وعَلّمَ آدم﴾.

● أفضلية الإنسان بالنسبة إلى الملائكة إنما هو بسبب العلم: ﴿وعلّم آدم.. ﴾.

● الطابع الغالب على الملائكة هو العبادة، والطابع الغالب على آدم هو العلم، ومقام الخلافة ألصق بالعلم منه بالعبادة: ﴿نسبّح بحمدك.. علّم آدم الأسماء﴾.

● لجلاء كفاءات الأفراد أفضل وسيلة هو الأمتحان، واستعراض الكفاءات ودرجات اللياقة: ﴿علّم.. ثم عرضهم.. فقال أنبئوني﴾.

● يظهر من الآية الكريمة أن الملائكة رأوا أنفسهم أكثر لياقة لمقام خليفة الله: ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وهذا المعنى تؤكده رواية عن الإمام الصادق في تفسير نور الثقلين.

٣٢- ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

الرسائل

● ابليس رأى نفسه أليق من آدم بسبب عنصر خلقته: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ والملائكة رأوا ذلك أيضًا بدليل عبادتهم: ﴿ونحن نسبّح بحمدك﴾ . عنصرية إبليس جعلته يأبى السجود لآدم ويعصي ربّ العالمين، بينما عبادة الملائكة دعتهم لأن يستجيبوا للحقيقة، فاعتذروا وأقرّوا بجهلهم: ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا﴾.

● من القيم النبيلة الاعتذار عن سؤال بدون علم: ﴿سبحانك﴾.

● لابدّ من وجود توازن في تقويم الإنسان لنفسه فالذين قالوا: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قالوا أيضًا: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾.

● الإقرار بالجهل فضيلة: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ . الملائكة في عباراتهم قدّموا أسمى آيات الأدب: ﴿سُبْحَانَكَ، لاَ عِلْمَ لَنَا، إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

● علم الله ذاتي: ﴿إنك أنت العليم﴾ وعلم غيره اكتسابي: ﴿علّمتنا﴾.

● ليس للصدفة مكان في سنن الكون: ﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾.

٣٣- ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

الرسائل:

● يجب أن نوفّر الفرص لتفتحّ الكفاءات: ﴿ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾.

● في الاختبار العلمي الذي أقامه الله سبحانه فاق آدم الملائكة: ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم﴾.

● يظهر من الآية الكريمة أن الملائكة كانوا يكتمون أمورًا إضافة لما كانوا يبدون: ﴿كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾، وجاء الاختبار ليجيب على ما يبدون وما كانوا يكتمون.

عام الابداع والازدهار

الابداع والمشروع الديني

• التعارض بين الابداع والمؤسسة الدينية في الغرب أوحى إلى بعض المثقفين بوجود هذا التعارض في الإسلام • تخلّف المجتمعات الإسلامية كرّس فكرة وجود هذا التعارض• الإنسان ليس ثابتا بل متحركا لكن مداره ثابت • القافلة متحركة لكن الطريق نحو المقصد ثابت • الانسان يحتاج إلى قوانين لحركته المدارية الثابتة، والى قوانين متغيرة ترتبط بتنقله المرحلي • التجدّد لا يتحقّق إلاّ إذا كانت وراء روح مبدعة أصيلة هي الاجتهاد في كل مجال يبدع فيه الإنسان.

أعلن العبد الصالح الإمام الخامنئي هذا العام الهجري الشمسي عام الإبداع والازدهار.

الأبداع يعني الإتيان بشيء جديد.. وهل يلتقي هذا مع المشروع الديني الذي يعتمد على نصوص دينية مقدسة ثابتة لا تتغير؟!

هذا السؤال فَرَضَ نفسه على الساحة الإسلامية على أثر عاملين:

الأول: اتخاذ الغرب قدوة إثر الهزيمة النفسية التي مُني بها المسلمون بعد الغزو الاستعماري، والغرب كان يعاني من وقوف

الكنيسة أمام كل إبداع فكري أو علمي، ولم يتطور إلاّ بعد أن تخلّص من جمود الكنيسة الغربية، ومن هنا دعا بعض أصحاب التنوير الفكري في عالمنا الاسلامي إلى التخلّص من المؤسسة الدينية باعتباره الطريق الوحيد للتقدم!!

الثاني: حالة التخلّف التي سادت في العالم الإسلامي بعد هزيمته أمام الغزو الغربي، وهذه الحالة فرضت نفسها على الفهم الديني، فاقترن الدين بالتخلّف والتحجّر والرجعية. واتخذ بعضهم من هذا الفهم المتخلّف المتحجّر للدين، وكأنه يمثل حقيقة الدين!!

بسبب هذين العاملين ثارت هذه الإشكالية بين الإبداع والدين. وهي إشكالية استوعبت مساحة كبيرة مما دار في الساحة الفكرية الإسلامية خلال القرن الماضي.

لقد كتب الباحثون والدعاة حول: التطور والثبات في حياة البشرية، ومعركة التقاليد، ودعوة الإسلام إلى العلم، وعطاء الحضارة الإسلامية في عصور الازدهار، وفضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوربية و... وكلها تتجه نحو الإجابة على سؤال التعارض بين الإبداع والدين.

والغريب أن هذه المسألة طُرحت أيضا في إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، وبعد ودعوة الإمام الراحل المؤسس إلى الاستفتاء حول نظام الجمهورية الإسلامية. ولذلك تصدّى للإجابة عليها

الأستاذ الشهيد مرتضى مطهّري في الأيام الأولى بعد الانتصار، في مقابلة تلفزيونية قال فيها:

«تطوّر الزمن، وثبات الأحكام الإسلامية، يثيران دومًا هذه الشبهة التي ذكرتها، كيف يمكن أن ينسجم هذا الثابت مع ذاك المتطور.

مسئلة تطور الزمن، حقيقة ثابتة لاشك فيها، لكن هذه الحقيقة تنطوي على مسألة يغفل عنها البعض.

المسيرة التي يطويها الفرد الإنساني والمجتمع الإنساني، تشبه مسيرة قافلة متحركة سائرة متنقلة من محطة إلى أخرى. هذه القافلة، لا تبقى ساكنة وثابتة في محطة معينة، بل تستمرّ في السير مغيّرة محطاتها، لكنّها لا تغير طريق سيرها في هذا التنقّل.

القافلة متحركة، لا ينبغي لها أن تقف في نقطة معينة من طريقها، لكن الطريق الذي تطويه نحو هدفها واحد.

الفرد والمجتمع لا يمكن أن يكونا ساكنين، ولا ينبغي أن يمكثا في نقطة معينة من المسير. فذلك معارض لقانون الطبيعة، لكن مسير التكامل للفرد والمجتمع واحد لا يتغير.

تُرى هل من الضروري أن يغيّر الفرد والمجتمع طريقهما التكاملي في كل مرحلة من مراحل حياتهما؟

هل من اللازم أن ينتخبا في كل مرحلة طريقًا جديدًا وهدفًا جديدًا؟ كل المسيرة التكاملية للبشر خط ثابت، يشبه مدار

النجوم. الحركة مستمرة، والمدار ثابتٌ.

هل نستطيع أن نعتبر النجوم ثابتة ساكنة لأنها تتحرّك على مدار ثابت واحد؟ كلا طبعًا، حركة النجوم لا تستلزم تغيير المدار باستمرار.

هذه المسألة تُطرح بنفس الشكل على صعيد حركة الإنسان والمجتمع.

مستلزمات الحياة الإنسانية ومظاهر المدنية تتطور باستمرار، ولكن تُرى، هل إن إنسانية الإنسان والقيم الإنسانية، والكمال الإنساني هي الأخرى حقائق متغيرة متبدلة؟!

هل إن الموازين الإنسانية التي نؤمن بها اليوم، هي غير الموازين التي كان يؤمن بها أجدادنا وغير الموازين التي سيؤمن بها أحفادنا؟!

هل سيأتي يوم تَعتبر فيه البشريةُ «تشومبي» و«الحجّاج» مثالاً للإنسانية، وتعتبر «لومومبا» و«أبا ذر» مثالاً لأعداء الإنسانية؟ هذا مستحيل.

الإنسان ـ كما قلنا ـ غير ثابت، لكن مداره ثابت، ومن هنا فهو يمتلك معايير هي بمثابة دلالات كي لا يضل الطريق. فكما أن المسافر يحتاج إلى علامات ودلالات كي لا يضلّ الطريق كذلك الإنسان بحاجة إلى معايير ثابتة يهتدى بها في مسيره.

أوضحت في كتاب «حقوق المرأة في الإسلام» مسألة الإسلام

والتطور، وكيف يواجه الإسلام متطلبات الحياة المتطورة.

ذكرت هناك أن «نوع» الإنسان، لم يتغير منذ أن ظهر على الأرض، وعدم تبدل الموجود البشري من نوع إلى آخر لا يعنى ثبات هذا الموجود في نقطه معينة، بل إنه طوى ولايزال يطوي مسيرته التكاملية. لكن قانون الخلقة يبدو قد نَقَلَ مَهمةَ التكامل من مرحلة الجسم وأعضاء البدن إلى مرحلة النفس والروح والمجتمع.

لو أن تغيّرًا طرأ على النوع الإنساني لاستلزم تغيرًا في القوانين التي تتحكّم فيه.. لكن ثبات النوع الإنساني خلال المراحل التاريخية الأخيرة ـ على الأقل ـ يتطلب بالضرورة مجموعة من مبادئ ثابتة ترتبط بطبيعة الإنسان وكماله، على أنّ الإنسان يحتاج أيضًا إلى قوانين متغيرة تسد احتياجاته المتطورة خلال انتقاله من محطة إلى أخرى، أو من مرحلة إلى أخرى خلال مسيرته التكاملية.

الإنسان يحتاج إذن إلى قوانين ومبادئ ثابتة ترتبط بحركته المدارية، وإلى قوانين متغيرة ترتبط بتنقله المرحلي.

أحكام الإسلام موضوعة لحركة الإنسان المدارية الثابتة، لا المرحلية المتغيرة، غير أنّ الإسلام أعدّ المقدمات والتمهيدات والأطر اللازمة لسد احتياجات الإنسان المتغيرة.

شرحت في كتابي المذكور خصائص القوانين الثابتة والمتغيرة في الإسلام بذكر بعض الأمثلة:

أمر الله تعالى الجماعة المسلمة أن تعدّ نفسها دفاعيًا إلى المستوى الذي يخشاها فيه الأعداء.

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الانفال/٦٠)

هذه الآية تحدد واحدًا من المبادئ الاجتماعية الإسلامية، وهو مبدأ ثابت لا يتغير، وضرورته قائمة في الماضي والحاضر والمستقبل.

التطبيق العملي لهذا المبدأ ينعكس في السنة النبوية بشكل حثّ من الرسول القائد على السبق والرماية. واشترك الرسول بنفسه في هذه العمليات والمسابقات، والفقه الإسلامي أوصى بالسبق والرماية أيضاً انطلاقًا من السنة النبوية. لكن هذا الحكم الفقهي لم يعد له مصداق حاليًا، إذ إن زمانه قد مضى وليس من الضروري القيام بتلك العمليات اليوم بنفس النية السابقة.

مبدأ «وأعدوّا لهم..» يرتبط بمدار حركة الإنسانية، والسبق والرماية ليس لهما أصالة، بل يرتبطان بمرحلة معينة من مراحل المسير، وفي مرحلتنا الراهنة ينبغي للمجموعة المسلمة أن تنفّذ هذا المبدأ بشكل يتناسب مع ظروف هذه المرحلة ومتطلباتها.

ومثال آخر يرتبط بمبدأ تبادل الثروة بين المسلمين أوضَحَته الآيةُ الكريمة: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ (البقرة/١٨٨).

هذه الآية تنصّ على أنّ تبادل الثروة ينبغي أن يتخذ شكلاً مفيدًا من الناحية الاجتماعية، وأن يتّجه نحو الاحتياجات الأساسية للمجتمع.

لو أراد شخص أن يشتري بماله الذي اكتسبه عن طريق عمل مثمر، شيئًا لا فائدة فيه، كأن يشتري كيسًا مملوءًا بالحشرات الميتة، فإن هذه الصفقة باطلة في نظر القرآن.

ولو استطاع العلم في تطوره أن يستفيد من هذه الحشرات، فإن عملية البيع تصبح صحيحة بعد أن كانت باطلة ومحرمة من قبل.

الفقيه، هو الذي يعيّن المصداق الواقعي للحكم الذي تنص عليه الآية في كل زمان، وبموجب هذا التشخيص يفتي بجواز هذه المعاملة وببطلان تلك.

الفقهاء واجهوا مسألة شبيهة بالمسألة السابقة ترتبط ببيع «الدم» وشرائه. لقد كانت معاملة بيع الدم وشرائه باطلة في الماضي، يوم كان الدم مادة لا نفع فيها ولا فائدة، إذ هي من نوع أكل المال بالباطل. واليوم فقد أضحى الدم ـ على أثر تطور العلم ـ مادة حياتية، ولم تعد المعاملة عليه تنطبق على أكل المال بالباطل. فالحكم الجزئي هنا قد تغيّر بتغيّر المصداق. لكن الحكم الكلي باق لا يتغير.

الاجتهاد ينهض بالدور الأساسي في تطبيق الأحكام الكلية على

المصاديق الجديدة. وواجب الفقيه أن يدرس المسائل الجزئية المتغيرة بتغيّر الزمان في إطار الأحكام الكلية الثابتة التي جاء بها الوحي، ويخرج من دراسته بالأحكام الفقهية المناسبة».

الشهيد مطهّري في هذا المقطع من مقابلته يريد أن يؤكد على أن الإسلام في أحكامه متحرّك متجدّد لكنه يقوم على أصول ثابتة. وهذا التحرك والتجدّد لا يتحقق إلاّ إذا كانت وراءه روح مبدعة مطوّرة، متفهّمة للاصول الثابتة وللمتغيرات.. وهذا هو «الاجتهاد».

الابداع في كلّ مجال من المجالات - لا المجال الفقهي فقط - يحتاج إلى حركة فكرية اصيلة هي الاجتهاد.

وسيكون لنا وقفات أخرى في هذا العدد عند إعلان الإمام القائد حفظه الله عام الإبداع والازدهار.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعظم داعية للوحدة. فقد وحّد عقيدة الأمة تحت راية لا إله إلاّ الله. لكنه لم يكتف بالإيمان والعقيدة، بل اهتمّ أيضًا بإزالة العوامل المضادّة للوحدة.

الشهيد مرتضى مطهري

الإبداع والكلمة الطيبة

• الإبداع سنة كمال والكلمة الطيبة سنة عطاء متواصل • الإبداع يكون كالكلمة الطيبة حين تكون أصوله ثابتة وفروعه نامية نموا لا حدّ له • يجب أن لا يختلط أمر الشجرة الطيبة بالشجرة الخبيثة • الشجرة الخبيثة منقطعة عن أصول حركة الكمال في الكون • والشجرة الخبيثة تبدو أنها متحركة ولكن دونما هدف ومقصد وعطاء.

الكلمة الطيبة تقابل الكلمة الخبيثة.

والكلمة الطيبة:

- كشجرة طيبةٍ
- أصلها ثابت
- وفرعها في السماء
- توتي أكُلَها كلَّ حين بإذن ربّها
- والكلمة الخبيثة
- كشجرة خبيثة
- اجتُثّت مِنْ فَوقِ الأرض
- مالها مِنْ قَرار

والكلمة هي سنّة الله في الأرض: ﴿وتمت كلمة ربك...﴾،

﴿ولولا كلمة سبقت.. ﴾ ﴿إن الذين حقّت عليهم كلمة ربّك لا يؤمنون﴾.

والكلمة الطيبة هي سنّة الكمال والبناء في الكون.. والكلمة الخبيثة هي سنة التخلّف والهدم في ساحة الوجود.. كلّ شيء يجري وفق سنّة.. البناء والهدم.. الإيمان والكفر.. الرضوان والعذاب.. إحقاق الحق وقطع دابر الكافرين.. والمنطلق الأساس لتحقق هذه السنن إرادة الإنسان: ﴿حتى يغيروا با بأنفسهم﴾.

والكلمة الطيبة في الآية الكريمة لها علاقة بما نحن مهتمون به في هذا العام الهجري الشمسي.. بالإبداع، فهي كشجرة طيبة..

والشجرة رمزٌ للنماء والعطاء والازدهار.. وذات قدرة متواصلة على النمو والتكامل.

وارتباط الإنسان بالشجرة قديم قبل أن يهبط على ظهر الأرض.. ولقد بدأ استخلافه في الأرض منذ أن اقترب من تلك الشجرة.. ورأى نور الله منذ أن علم أنه يوقد من شجرة مباركة.. وسمع نداء ربّ العالمين ﴿ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾.

سنة البناء والتكامل والإبداع مقرونة إذن بالشجرة.. لكنها شجرة طيبة. وصفات هذه الشجرة الطيبة كما في الآية أنّ: ﴿أصلها ثابت﴾. وثبات الأصل لا يعني الجمود والركود.. بل يعني الحركة القائمة على أصول ثابتة من سنن الكون.. فللنموّ والإبداع سنّته، وإذا تخلّى عن هذه السنن الثابتة يبتعد عن مدارج النموّ والكمال والإبداع.

أمـا فـروع هـذه الشـجرة فتنمـو نمـواً لا حـدّ لـه: ﴿وفرعهـا في السماء﴾. هذا النموّ المتواصل يتحقّق حين تقوم هذه الشجرة على أصول ثابتة من سنن الكمال والإبداع في الكون.

وحين تكون هـذه الشـجرة الطيبـة قائمـة علـى أصول ثابتـة مـن سنن الكمال فإنها: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾.

﴿بإذن ربّها﴾ تأكيد على السنة الإلهية في عطاء هذه الشجرة.. إنها مستمرة في العطاء دونما توقّف.

الإبداع ـ إذن من خلال عرض الآية لسنّة الشجرة الطيبة ـ يقوم على أسس ثابتة من سنن الكمال في الكون.

لكنه ينمو باستمرار مقدمًا العطاء والخير والبركة.

الشجرة الطيبة يجب أن لا يختلط أمرها بالشجرة الخبيثة..

هـذه الشـجرة الخبيثـة مشـمولة بسنّة الـدمار والانحـراف ونكـد العيش لأنها:

﴿اجتثت مـن فـوق الأرض﴾ فهـي لا تتصـل بـالأصـول الثابتـة مـن سنن الكمال..

ثم إنها ﴿مالها من قرار﴾ وهو تعبير عظيم عن حركة ليس لها هـدف ومقصـد، تبـدو وكـأنهـا متحـركـة، لكنّهـا حـركـة الانقطـاع عن الجذور، لا حـركـة النمـاء والازدهار والكمال.

أمتنا في تطلعها نحو الإبداع لابد أن تميّز بين الشجرتين، وبين الحـركتين، كـي لا تتجـه نحـو إبـداع هـو في الواقـع سـراب يحسـبه الضمآن ماءًا.

عام الإبداع والازدهار

الإبداع والبدعة

• الإبداع عقل والبدعة هوى نفس • الإبـداع إثـراء والبدعـة جعجعـة بـلا طحين • لابد للمجتمع المتجه نحو الابـداع أن يفـرّق بـين النـافع من الجديـد والضارّ منه • الإبداع كل عمل يكرّس روح العـزّة والكرامة• بـدون الإبـداع سيظهر المبتدعون • ثقافة التقريب تتحمّل مسؤولية التوعية على الفرق بين الإبداع والبدعة.

الإبداع والبدعة كلاهما الإتيان بشيء جديد.. ولكن أين ذاك الجديد من هذا الجديد..

الإبـداع يقـوم علـى عقـل والبدعـة تنطلـق مـن هـوى الـنفس.. الإبداع تطوير للحياة الإنسانية، والبدعة مسخ للمسيرة البشرية..

الإبداع وراءه علمٌ ومعرفة، والبدعة وراءها جهل وخُرافة.

وعلى مرّ الأجيال كان هناك مبدعون أثروا الحياة البشرية وأغنوها بالعلوم والمعارف والفنون، كما كان هناك من أتى بجديد لم يَعُدْ على المجتمع إلاّ بالضجيج والإثارات والقيل والقال تاركًا وراءه المشاكل والمصائب واللعنات.

الإبـداعُ توجيـه حركـة البشـرية علـى مسـير بـديع السـماوات

والأرض، والبدعة انحراف عن الخط الصحيح.

الإبداع يصدر عن نفس سليمة متعادلة متوقّدة، والبدعة تصدر عن روح مريضة تبحث عن الشذوذ والشواذ.

من هنا لابدّ للمجتمع الذي يتّجه نحو الإبداع أن تكون له قدرة التمييز بين الجديد النافع، والجديد الذي لا نفع فيه إن لم ينطو على السمّ الزعاف.

عالمنا الإسلامي ـ بعد سقوطه أمام الغزو الاستعماري ـ ظهر فيه مبدعون قدّموا المشروع الإسلامي للأمة وفق أسس أصيلة ومعاصرة، ورسموا لها طريق التحرّر من تخلّفها وفقَ فهم عميق للرسالة وللواقع. وظهر فيه على الجانب الآخر مبتدعون يتحركون وفق روح الهزيمة الداخلية أو الأهواء النفسية أو عُقَد الوضع المتخلّف، فأثاروا زوبعات في المجتمع الاسلامي هزّت الهوية أو كرّست التخلّف، وفرّقت الأمة شيعًا.

من منطلق «ثقافة التقريب» نفهم الإبداع على أنه كل عمل يكرّس روح العزّة والكرامة، ويرسّخ الاعتزاز بالهوية، ويبعث الأمة المسلمة على أن تفتخر بنفسها بين أمم الأرض.

ومجالات الإبداع التي تحقّق الأهداف المذكورة كثيرة:

مجال تقديم مشاريع أسلمة الحياة في مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية.

مجال صيانة الأمة من الغزو الثقافي والمحافظة على الهوية الإسلامية في دنيا العولمة.

مجال التواصل الإيجابي البنّاء مع العالم لإيصال الفهم الحضاري للإسلام بخطاب عالمي إنساني.

مجال توفير ما تحتاجه الأمة من مقوّمات الحياة كي لا تُعتبر أمة مستهلكة لإنتاج الآخرين.

مجال تطوير الآداب والفنون والعلوم كي تساهم في الإنتاج الحضاري لأمم الأرض.

مجال رفع مستوى الأمة لتخرج مما يسمونه العالم الثالث إلى منافسةٍ للدول المتقدمة.

مجال رفع الكفاءة الدفاعية للأمة كي تصبح مرهوبة الجانب بين أمم الأرض، ولكي لا تكون عرضة لنهب الأطماع الدولية.

هذه وغيرها من مجالات الإبداع التي يجب أن يكون بين دول العالم الإسلامي تعاون جادّ لتحقيقها.

وبدون الاتجاه نحو الإبداع سيظهر مبتدعون مدفوعون بمرض نفسي أو وازع أجنبي، ليثيروا الفتن والاضطرابات والشكوك والأوهام والخرافات، مما يؤدي كما ذكرنا إلى تكريس حالة التخلّف والتمزّق.

ثقافة التقريب لا تنفصل عن ثقافة الإبداع ولا يمكن تحقيقها إلاّ بأن تضع أمام الأمة نَجدَي الإبداع والبدعة.. تدعو إلى الأولى وتحذّر من الثانية.

عام الإبداع والازدهار

الإبداع فيما ينفع الناس

• أهمّ من الإبداع أن نعرف مقصدنا في الإبداع • باسم الإبداع أشغلوا المسلمين على مرّ التاريخ بهذر فكري وكلامي لا طائل تحته • الإبداع في حقل العلوم الإنسانية ليس في كتابة الحواشي والشروح بل في بناء قاعدة المجتمع المتحرك • مراكزنا العلمية لابد أن ترتبط بالإبداع الهادف • العرفاء دعوا الناس إلى الهدفية في الحركة.

إذا كان الإبداعُ تقديمَ الجديد على ساحة الفكر والعمل والإنتاج فيجب أن يكون إبداعًا فيما هو نافع للناس.

والقرآن الكريم يؤكد على التفريق بين ما ينفع ولا ينفع، وإن تشابها في الظاهر بقوله سبحانه:

- أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا
- فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا
- وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ
- كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ
- فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء
- وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ
- كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ

هذا التمثيل القرآني يحمل رسالة على غاية من الأهميّة. هي ضرورة التفريق بين الزبد الرابي الطاغي المنتفش على سطح السيل، وبين ما يحمل معه السيلُ من ترابٍ فيه فلزات ثمينة يتّخذها الناس للحِلية أو وسيلة مفيدة للحياة.

نحن في عام الإبداع بحاجة إلى تكريس فهم اتجاهنا في الإبداع، إنه بعبارة موجزة نحو ما ينفع الناس. فالنافع هو الباقي، أما الزبد فيظهر على السطح حينًا ثم يزول..

وما أكثر ما ظهر في تاريخنا الإسلامي من موجات فكرية وكلامية وفلسفية لم تخلّف وراءها الاّ بلبلة الأفكار وإلاّ القيل والقال!!

كم مِنْ عمر الساحة الفكرية الإسلامية ضاع في مسائل فقهية لا علاقةَ لها بالحياة، وببحوث كلامية لا طائل تحتها، وبمناقشات فلسفية لا تكشف الحقيقة بل تزيدها غموضًا وتعقيدًا!!

وكم فرّط العالم الإسلامي في مجال اكتشاف مكنونات الحياة!!

صحيح أن العلوم الإنسانية لها الأولوية في بناء المجتمع، لكنها القاعدة التي يجب أن يقوم عليها البناء. وأين بناؤنا الحضاري اليوم بين أمم الأرض؟ المشكلة إذن في طريقة تناولنا للعلوم الإنسانية، يجب أن لا تكون هي الهدف، وأن لا تكون هي المحور الذي تُكتب عليه الحواشي والشروح. بل يجب أن تكون هذه العلوم

كما ذكرنا قاعدة لبناء الإنسان المتحرك المبدع في جميع مجالات الاستخلاف.

من الأخطار التي تصيب الحركة الحضارية للأمم هو وقوعها في الجَدَل، وتركها العمل، كما في النصوص الدينية. ولذلك جاء في الدعاء: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع..

ولابدّ أن نذكر ونحن في مجال الإبداع الذي ينفع الناس أن جامعاتنا وحوزاتنا العلمية ومؤتمراتنا ومراكز أبحاثنا يجب أن ترتبط بالإبداع الهادف.. أن تأتي دائمًا بشيء جديد له ارتباط بمصلحة معنوية أو ماديّة لهذه الأمة.

العرفاء الحقيقيون أدركوا ما ينبغي أن يتجه إليه الإنسان في حركته المقاصدية، ودعوا إلى صحوة ويقظة تبعده عن القيل والقال. ولقد عبّر الشيخ بهاء الدين العاملي (٩٥٣ -١٠٣١هـ) عن ذلك حين قال:

قد صرفنا العمرَ في قيل وقال يا نديمي قم فقد ضاق المجال..
قم وخاطبني بكل الألسنهْ علّ قلبي ينتبه من ذي السِّنهْ
إنه في غفلة عن حاله خابط في قيله مع قالِهِ
كل آن فهو في قيد حديد قائلاً من جهله هل من مزيد

ولعلّ هذه الصحوة هي التي أيقظت الشيخ بهاء الدين ودفعته لأن يقدّم في مجال الأدب والفقه والهندسة والرياضيات والفلك ما يُذهل. هذه الصحوة هي التي جعلته يبدع ويبتكر ويبتعد عن المراوحة في مكانه كالذي كان يفعله التقليديون في زمانه.

الإبداع والعزّة

• كل حركة مبدعة في التاريخ وراءها روح العزّة • ضَعُفَ روح الإبداع لدى المسلمين حين شعروا بالذلّ والدونية • روح العزّة في إيران ولبنان كانت وراء الانتصارات البديعة• أكثر شيء يهتمّ به أعداؤنا هو أن لا نشعر يوما بالعزّة النزاعات الطائفية يستتبعها سيادة روح الذلّ • لابد من نشر ثقافة العزّة في ممارساتنا باعتبارها ضرورة للابداع.

شاء الله أن يكون خليفته في الأرض عزيزًا كريمًا، وبهذه العزّة والكرامة يستطيع أن يتحرك ويبدع على ساحة الحياة، وإذا فَقَدَ هذه العزّة لأسباب تاريخية أو اجتماعية، فقدَ التحرّك وماتت روح الإبداع فيه.

ونستطيع أن نُرجع كل حركة مبدعة في التاريخ إلى استشعار روح العزّة. ماضينا الإسلامي وحاضرنا يشهد على ذلك. في الماضي أوجد الإسلام مجتمعًا يرى أنه يشعر بالسموّ والرفعة بسبب قربه من الله، وبسبب ما يحمله من مسؤولياتٍ كبيرة تجاه البشرية ضمن إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن مهامٍ جسام في الدفاع عن المستضعفين والمظلومين. شعرت الجماعة

المسلمة الأولى بأنها مكلّفة بالتعلّم والتفكّر في الآفاق والأنفس . والعلم يصعّد روح العزّة والتكريم لدى الإنسان حين يكون بوازع طلب اكتشاف حقائق الكون والحياة وتسخير الطبيعة لصالح الإنسان. كلّ ذلك عمّق روح الشعور بالعزّة لدى المجتمع المسلم، فاتجه نحو الإبداع والازدهار، وبناء الصرح الحضاري الذي تفخر به الإنسانية جمعاء.

وبالعكس حين انتكس العالم الإسلامي في القرون الأخيرة، وشعر الإنسان المسلم بالدونية والضعف ضعفت روح الإبداع، وسادت حالة الاجترار، وسيطرت نظرة ليس بالإمكان أحسن مما كان.

ثم حدث في العقود الأخيرة ما أكد ارتباط روح العزّة بالإبداع.

حين انتصرت حركة الأمة المسلمة في إيران، وأقامت بيدها دولة الإسلام المنبثقة من إرادتها، تصاعدت روح العزّة في النفوس، وتبعًا لذلك تفجّرت ينابيع الإبداع. كل المنصفين يشهدون أن ما سجلته الجمهورية الإسلامية بعد انتصار الأمة في إيران كان هائلاً بكل المقاييس، رغم ما واجهته من عوامل مضادّة كانت هائلة أيضا بكل المقاييس.

المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان طَفَح فيها الشعور بالعزّة، نتيجة لاستلهامها روح حركة الأمة في إيران، فحققت معجزةً في الإبداع على صعيد المواجهة والمقاومة والبناء.

كـاد الشـعور بـالعزّة بعـد انتصـار الأمـة في إيـران أن يسـري إلى العـالم الإسـلامي، لكنـه طُـوّق وعُـتّم عليـه، وحـورب، وهكـذا الأمـر بالنسبة إلى انتصار حزب الله في لبنان. هذه الحرب التي شُنت ضد امتداد العزّة ليست حربًا ضد دولة أو حزب، بل حربٌ من أجل أن لا يشعر المسلمون يومًا بالعزّة، ولا يعقب هذا الشعورَ تفجيرٌ في قدرات الإبداع والبناء الحضاري.

ارتبـاط العـزّة بالإبـداع يؤكـده الـدين، ويثبتـه الواقـع، وتؤكـد عليـه الدراسـات الاجتماعيـة منـذ أقـدم العصـور. فهـذا أفلاطـون يتحـدث عـن شـيء اسمـه «التيمـوس» ويعتـبره وراء كـل حركـة بشرية في التاريخ، ويعرّفه بأنه رغبة الجماعة الإنسانية في كسب اعتراف الآخرين بها، ولا يقابل ذلك في المصطلحات العربية سوى العزّة.

ومن فكرة أفلاطون بنى هيغل نظريته في فلسفة التاريخ، وسار على هذاالطريق فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ.

ممـا تقـدّم نفهـم أن الـداعين إلى الإبـداع يجـب أن يضـعوا عـزّة الأمـة في رأس قائمـة اهتمامـاتهم، مقابـل مـا يفعلـه الأعـداء الـذين وضعوا عملية إذلال هذه الأمة في مقدمة اهتماماتهم.

ثقافتنـا تحتـاج إلى جهـد كـبير لتكـريس مفـاهيم عـزّة الإنسـان المسلم وكرامته. أقول إلى جهد كبير لأن عزّة الإنسان وكرامتـه أصـل غائـب عـن ثقافتنـا المعاشـة، خاصـة في خضـمّ هـذه النزاعـات

الدموية التي تشهدها ساحتنا الإسلامية، والتي توحي بأن الانسان في نظرنا أرخص موجود على الأرض.

بكل سهولة تُسفك الدماء، وتُنتهك المقدسات والأعراض، وتُسلب الأموال، وتُلصق التهم بالأفراد، وتمارَس أساليب القذف والتشنيع والتكفير. صحيح أن كثيرًا من هذه الحالات وراءها يد أجنبية تريد إذلالنا بشتى الطرق، ولكن يجب أن لا ننسى دورنا أيضا في إهدار كرامة الإنسان والاستخفاف بعزّته.

نعم صحيح أن النزاعات الطائفية وراءها يدٌ تحركها وتثيرها، ولكن هذه اليد الأجنبية تنفذ من ثغرات الموروث الطائفي والحواجز النفسية القائمة فينا.

وليس ثمة إذلال أكبر من أن يتنازع المسلمون بينهم من أجل مسائل تاريخية وفرعية، وهم مشتركون في مساحات واسعة من الالتقاء وأمام جبالٍ راسياتٍ من التحديات.

في جوّ الإذلال هذا يموت الإبداع، وينعدم الازدهار. فلنتجه إلى ثقافة العزّة والكرامة وحرمة الإنسان التي هي في المفاهيم الإسلامية تفوق حتى حرمةَ الكعبة.

الإبداع والتعارف

• التعارف هو تبادل معرفي بين البشر • التقوى تعني اتقاء كل ما يحول بين الإنسان وبين كماله الممكن • في تاريخنا شواهد كثيرة على ارتباط التعارف بالإبداع • الاستماع أساس التعارف ومن ثمّ بوابة الإبداع • طاغوت الذات يمنعنا من الاستماع • كان عالمنا الاسلامي منذ ١٢ قرنًا قرية صغيرة • الاختلاف الثقافي حافز على الإبداع والتجديد.

الآية التي تتحدث عن تعارف المجموعات البشرية لها دلالات كبرى:

- يَا أَيُّهَا النَّاسُ!!
- إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى.
- وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ:
- لِتَعَارَفُوا
- ِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.

الخطابُ للناس جميعًا يحمل دلالة عدم اختصاصه بجماعة دينية أو قومية معينة.

وخَلقُ البشر من ذكر وانثى.. للتعارف، له دلالة عدم تفوّق جنس على جنس، وضرورة أن يكون بين الجنسين تعارف بالمعنى

الذي سنذكره. وهو تعارف بين مخلوقين يختلفان في كثير من الأمور،لكنه اختلاف يؤدي إلى الكمال حين يكون بينهما تعارف.

وجَعلُ البشر شعوبًا وقبائل إشارة أيضا إلى تعدّدية في الجنس البشري، واختلاف بينهم بسبب البيئة والمجتمع والتاريخ والعادات والتقاليد والأذواق.. لكنه اختلاف يؤدي أيضا إلى كمال إن كان بينهم تعارف.

ثم يأتي ذكر سبب هذا التنوع.. لتعارفوا. والتعارف ليس أن تعرف اسمي وأعرف اسمك.. إنه تبادل معرفي بين البشر.. وهذا التبادل المعرفي يؤدّي إلى إبداع ونماء وحركة كمال. ثم إنّ أكرم الناس عند الله أتقاه..

والتقوى كما يعرّفها المرحوم محمود شلتوت تلتقي مع هذا الفهم الحضاري للآية حيث يقول:

«أما تقوى اللّه تعالى، فهي ترفع في معناها العام إلى اتقاء الإنسان كل ما يضرّه في نفسه وفي جنسه، وما يحول بينه وبين المقاصد الشريفة والكمال الممكن في الدنيا والآخرة. والتقوى ليست خاصة بنوع من الطاعات، ولا بشيء من المظاهر، وإنما هي كما قلنا، اتقاء الإنسان كل ما يضرّه في نفسه وفي جنسه، وما يحول بينه وبين الكمال الممكن. ومن ثمرات التقوى حصول الفرقان: (ما يفرّق به المرء بين الخير والشرّ والضارّ والنافع في هذه الحياة) فالعلم الصحيح، والقوّة، والعمل النافع، والخُلُق الكريم، وما إلى ذلك هو من آثار التقوى، والتقوى هي الشجرة، والفرقان

هو الثمرة» (شلتوت ـ تفسير القرآن الكريم/ ٥٧١) .

أعود إلى دور التعارف والإبداع فأقول: إن لنا في تاريخنا نماذج من تعارف أدّى إلى إبداع وازدهار. حدث ذلك منذ أن تشرفت إيران بالإسلام فانبثق عن ذلك في السنوات الأولى التي اعقبت الفتح تعارف بين الإيرانيين والعرب.. وانبثق على أثر ذلك إبداع علمي هائل في البصرة والكوفة، ثم ازدهر في بغداد، وانتشر هذا الازدهار في ربوع العالم الإسلامي من الأندلس غربًا حتى بلاد ماوراء النهر شرقًا.

وهنا أشير إلى مسائل ترتبط بثقافة التعارف. منها: ضرورة تعليم أبناء الأمة «أن يستمعوا». الاستماع أساس مهم للتعارف. وهل هو مفقود في عالمنا الإسلامي؟ نعم إلى حدّ كبير.

انظر إلى الحوارات التي تدور في الفضائيات، ليس فيها غالبًا استماع، بل كلا الطرفين يتكلمان!! يتكلّم الأول بلسانه، والثاني يتكلّم مع نفسه ليردّ على صاحبه.. الاثنان يتكلّمان.. ليس ثمة مستمع. وهذه الحالة سارية في تعاملنا على مستوى واسع. رغبتنا في الردّ والإفحام والإلجام والإسكات تفوق بكثير رغبتنا في الاستماع.

والسبب هو وجود طاغوت الذاتية في نفوسنا، لم نتجه إلى الله بل نتجه إلى طاغوت ذاتياتنا. الطاغوت يمنعنا من الاستماع، ويمنعنا بالتالي من انتخاب الطريق الصحيح. أمعن النظر في قوله تعالى:

- وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا
- وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ
- لَهُمُ الْبُشْرَى

وماهي البشرى؟

- فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
- أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ.

والآية الكريمة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تعليق في دلالتها على أهمية «الاستماع». والاستماع هو الشرط اللازم للتعارف.

وأشير أيضا في هذا المجال إلى ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم من حواجز وسدود تقف أمام هذا التعارف.

لقد كان عالمنا الإسلامي منذ أكثر من ١٢ قرنًا قرية صغيرة، يتم فيها التبادل المعرفي بين أرجائه رغم بدائية الاتصالات والمواصلات. واليوم ونحن في عصر مايسمى ثورة السرعة والاتصالات لا يعرف بعضنا بعضًا، بل ما يحمله بعضنا عن الآخر من معلومات مستند إلى ما يضخّه أعداء الأمة في أدمغتنا ونفوسنا. وهذا هو سبب تكريس الانفصال اليوم بين المذاهب والقوميات والشعوب والقبائل في عالمنا الإسلامي.

عدم قدرتنا على التواصل بسبب غياب ثقافة الاستماع، وقيام الحواجز والسدود، يحول دون تحقق «التعارف»، وبالتالي يحول دون الإبداع.

ولذلك فإن المهتمين بتفجير طاقات الإبداع في أمتنا ينبغي أن يعملوا على إحلال التعارف بين شعوب منظومتنا الإسلامية، على مستوى الشعوب والعلماء والمثقفين والفنانين والجامعيين والإعلاميين، لمواجهة تحدّي ضمور روح الإبداع في الأمة.

ونختم هذا المقال بما جاء في خاتمة مشروع الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي الذي أعدته الإيسسكو حيث يقول:

«والواقع أن كل هذه التحديات الداخلية والخارجية وما تحمله من انعكاسات تفرض إعادة النظر في الوضع الثقافي الإسلامي كله، وإعطائه الحركية والحيوية اللازمتين، وجعله في مستوى المعطيات العالمية المتطورة. وإذا أخذنا كل هذا في الاعتبار، فسندرك أننا لن نتجاوز أزمتنا (أي أزمة الثقافة في العالم الإسلامي) إلا بمشروع إسلامي نهضوي شامل ذي أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية وتعليمية وثقافية، لا يتجاهل الاختلاف الثقافي مع الآخر، بل يعدُّه حافزًا إلى الإبداع والتجديد، يسعى إلى ترسيخ خيار الشورى والديمقراطية، وإعلاء شأن الإنسان وكرامته، ويصون حقوقه، ويتعامل مع تيارات الحضارة العالمية بأفق رحب يتجاوز الانغلاق على الذات،ويستند أساساً إلى القدرة على نقد الذات، وإعادة إنتاج المعرفة من قلب التعامل مع حقائق العصر، والحد من الآثار السلبية للعولمة وحسن توظيف التقنيات الحديثة للمعلومات، والاستفادة من خدمة الأنترنيت، ودعم الحوار واحترام التنوع الثقافي».

بين التجديد والمرونة

محمد علي التسخيري *

• الفكر المنتَج يتأثر بثقافة المفكر ومعرفته بالعلوم المرتبطة بذلك الفكر • مرونة الشريعة توفر ساحة مفتوحة من المتغيرات تتدخل فيها العوامل المتغيّرة • المرونة لا تعني التنازل المبدئي أو الميوعة التنظيمة • تحقيق مقاصد الشريعة على الصعيد الفردي موكول إلى المجتهد وعلى الصعيد الاجتماعي إلى ولي الأمر • الحكم الثانوي يعبّر عن مرونة تشريعة • ولي الأمر يصدر أحكامه الولائية في إطار الشريعة ومقاصدها وليس له أن يستبد برأيه.

التمييز بين التجديد في الفكر الإسلامي وعنصر المرونة في الإسلام؛ يمثل مدخلاً للتعرف على حقائق التجديد، ومدخلاً أيضاً لاكتشاف مظاهر المرونة وتطبيقاتها. ويتم هذا التمييز عبر أساسين: الأول: أن الفكر هو تصور مستقى من الإسلام، أي أنه نتاج فهم المفكر للمصادر الإسلامية المقدسة عبر الأدوات الشرعية للفهم. وهذا الفهم له علاقة أيضاً بطبيعة فهم المفكر للواقع. ومن هنا فإن الفكر المُنتَج يتأثر بثقافة المفكر ومعرفته بالعلوم ذات المدخلية بموضوع الفكر، فضلاً عن بيئة المفكر واستجابته لعوامل

* – الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

الاختلاف ونوعيته وإحاطته بجوانب الموضوع. وهذه العوامل متغيّرة من مفكر لآخر، الأمر الذي يؤدي إلى بروز نوع من الاختلاف بين النتاجات الفكرية، وبالتالي فالتجديد الفكري يتأثر بمجمل هذه الحقائق، وهو الذي يعبَّر عنه بالاجتهاد.

أما الإسلام فهو نظام شامل ومتكامل، ويعبِّر عن الثوابت التي لا تقبل التجديد بذاتها. وللإسلام أساليب ثابتة في التعامل مع الجانب الثابت في الحياة الإنسانية، وله ايضاً أساليب مرنة في التعامل مع الجانب المتغيِّر، أي إن مرونة الإسلام وشريعته السمحاء تقتصر على معالجة المتغيرات، التي تمثّل المساحة التي تتحرك فيها عملية التجديد.

الثاني: إن مرونة الشريعة تخلق مساحة مفتوحة من المتغيرات، وهي مساحة مشروعة تتدخل فيها الاجتهادات أو تصورات المفكر والعوامل المتغيرة في شخصيته وفي فهمه، والتي يعمل المفكر في إطارها على تنظيم الجوانب التقنينية (التشريعية والتنفيذية) للحياة، بهدف اخضاع الحياة للشريعة. ومن هنا فإن البعد المرن في الشريعة هو الذي يحدد مجالات التجديد في الفكر الإسلامي ومساحاته. وهذه المساحات تتسع كلما ازدادت متغيرات العصر وضغوطاته وتحدياته.

مظاهر المرونة في الشريعة

لا تعني المرونة التنازل المبدئي أو الميوعة التنظيمية، فإن كلاً

منهما يتنافى مع عقائدية المبدأ المرن وواقعيته العملية؛ ذلك أن العقائدية والواقعية توجبان ثبات الاسس العقائدية والمفاهيم التصورية وثبات النظم والبناء العلوي الذي يقوم على أساس من ذلك التصور الرصين، فالمرونة – إذن – تعني التكتيك والتدرج الواقعي الذي يلحظ ضغوط الواقع، ويستهدف تعميق التصور الأصيل، والوصول إلى تطبيق الصورة التنظيمية المثلى. كما تعني قدرة النظام على استيعاب التحولات الزمانية والمكانية والتعقيدات الاجتماعية كلها، ووضع العلاج الواقعي لها في إطار الاطروحة العامة للتنظيم. وبالتالي فالمرونة هي اتخاذ موقف مؤقت يتغير بتغير الحالة بهدف المحافظة على الموقف العام.

والعقيدة لا تخضع لعامل المرونة، فهي الثابت – بالمطلق – الذي لا يخضع للمساومة تحت ضغط الواقع. في حين أن التشريع وأساليب التطبيق والتبليغ فيهما جوانب متغيرة، ولذلك فإن لعنصر المرونة مدخلية في صياغاتهما ونظمهما. وهنا يكمن سر خلود الإسلام وبقائه وقابليته على استيعاب كل ألوان التطور والتحدي. وتتمثل أهم مظاهر المرونة في الشريعة الإسلامية بما يلي:

١ـ مقاصد الشريعة وقواعدها الفرعية، وهي على نوعين: مقاصد عامة، وترتبط بالغايات العامة للشريعة، والتي من شأن أحكامها الكلية تحقيق مصالح الأمة. أما المقاصد الخاصة، فهي

ترتبط بغايات باب محدد من التشريعات التي تحقق مصلحة معينة من مصالح الناس. والمقاصد الخاصة فيها أيضاً جزئية ترتبط بحكم شرعي معين. وقد اختلف الفقهاء والأصوليون في تحديد أنواع المقاصد العامة للشريعة، ولكنهم اتفقوا على خطوط عامة تدخل في إطار تحكيم العدالة وتحكيم الأخوة وحفظ الدين وحفظ النفس والعرض وحفظ النسل وحفظ المال و حفظ العقل وغيرها. وبما أن قضية المقاصد ترتبط بتحقيق المصالح ودرء المفاسد؛ فإن الخشية من الوقوع في ملابسات الظنون الفردية التي تتجاذب الأفراد، تجعلنا نحيل هذه القضية في المجالات الفردية إلى قطع المجتهد فقط، إما بالنسبة للمجال الاجتماعي أو أمر الأمة فتحال إلى ولي أمر الأمة الشرعي؛ لتكون جزءاً من اختصاصاته في عملية التقنين، وهي بالتالي مساحة مرنة في الشريعة ترتبط باجتهاد ولي الأمر وتشخيصه المصلحة التي تحقق مقصد الشريعة، كما سيأتي.

٢ـ الأحكام الشرعية التي تحدد موضوعاتها الأعراف وأهل الخبرة، وهو ما يمكن أن نعبِّر عنه بتأثير الزمان والمكان في الاجتهاد ونوعية التأثير هذه لها مدخلية في موضوع المرونة؛ لأن تأثير الزمان والمكان في موضوع الحكم الشرعي هو الذي يحدد مضمون الحكم الشرعي وشكله. ومن مظاهر ذلك اختلاف مصاديق المفاهيم من مكان لآخر، كطبيعة الإسراف والغنى

والاحترام وإعداد القوة وغيرها. كما أن متطلبات الزمان والمكان قد تتطلب – أحياناً – تعطيل حكم ما أو نظام ما لفترة معينة؛ نتيجة التزاحم بين ضرورة تطبيق الحكم والآثار السيئة التي قد تنجم عن التطبيق في ظل ظروف معينة قاهرة. واذا كان الحكم يرتبط بعمل الأمة فلابد من إيكال تشخيص التزاحم وتقديم الأهم لولي الأمر ايضاً.

٣. فتح باب الاجتهاد في مجال استنباط الأحكام الشرعية، وهي المساحة الأكثر مرونة في الشريعة نفسها، أي إن عملية الاجتهاد عملية بالغة الدقة وبحاجة إلى نوع متميز من التخصص الذي لا يستطيع أي مكلف بلوغه، بل ولا يستطيع المجتهد نفسه ممارسته برأيه واستحسانه. فالمجتهد إذا لم يعثر على دليل من مصادر التشريع فإنه يرجع إلى الأصول العملية، أي الاصول التي تحدد الموقف العملي عند غياب الدليل الشرعي النصي في إطار منهجية لصيقة بالشريعة. ومثال ذلك المسائل المستحدثة والجوانب التنظيمية الجديدة، سواء على مستوى فقه الأفراد أو فقه المجتمع، ككثير من قضايا العلوم التطبيقية والقضايا الداخلة في الأمور الحسبية، كنظم المرور والتسعير والتعليم، وقضايا الإعلام والاتصالات والفنون والآداب وغيرها. والحقيقة أن النصوص التي تركتها مصادر التشريع تحديداً (القرآن الكريم والسنة الشريفة) تتناول قضايا الواقع المرتبط بفترة الصدور،

وتتناول أيضاً الخطوط العامة للنظم الإسلامية، اضافة إلى بعض الأحكام التي تستمر موضوعاتها مع الزمان والمكان. والحال أن كل يوم يمر على البشرية يحمل معه قضايا وموضوعات جديدة، لا تعجز الشريعة مطلقاً عن تحديد أحكامها، وذلك من خلال نافذة الاجتهاد، هذه المكرمة العلمية التي منحتها الشريعة للأمة (من خلال مجتهديها)، لكي تبقى قادرة على إخضاع واقعها لأحكام الدين الحنيف. وبالطبع فإن موضوع الاجتهاد يشتمل على تحديد دور العقل في عملية الاستنباط، كإدراك المصالح العامة أو إدراك التلازم بين أحكامه وأحكام الشرع.

ومن البديهي أن يرفض الشرع المقدس – خلال ممارسة عملية الاجتهاد – القواعد الظنية التي لم يقم على اعتبارها دليل قطعي، بل يحدد الاجتهاد في اطار القواعد التي قام على اعتبارها دليل قطعي؛ لأن الشارع لا يسمح للفكر البشري المحض أن يضيف من ذاتياته للإسلام. وهذا الأمر دليل على دقة عملية الاجتهاد، وكونها لا تترك للمجتهد اختراع منهجية أو قواعد وأصول غريبة عن جنس الشريعة، أي لا تفتح الباب على مصراعية للمجتهد بأن يجدد ويصلح ويطوّر في الشريعة كيفما شاء، هذا فضلاً عن غير المجتهد، فذلك من باب أولى بأن لا يتدخل في هذه الامور التي ليست من اختصاصه.

٤ـ تشريع الأحكام (الشرعية) الثانوية في الحالات الطارئة.

فالحكم الشرعي – لاعتبارات مختلفة – ينقسم إلى حكم أوّلي وحكم ثانوي وحكم ولائي. وما يهمنا هنا هو الحكم الثانوي، ويمكن أن نعرِّفه: بأنه الحكم المجعول للموضوع بلحاظ ما يطرأُ عليه من عناوين خاصة تقتضي تغيير حكمه الأولي. وهذه الحالات الطارئة هي من قبيل: "الضرر"، "العسر والحرج"، "العجز"، "الإكراه"، "الخوف"، "المرض"، "تزاحم الحكم عند تنفيذه مع حكم أهم منه"، "وقوع الحكم مقدمة لحكم آخر"، اضافة إلى تحوّل الأحكام الوجوبية الكفائية إلى تعيينية إذا انحصرت بشخص واحد. ومن هنا فالحكم الثانوي يعبِّر عن مرونة تشريعية؛ لأن المرونة هنا تعني الاستجابة للحالة الضاغطة بمقدار ما تحمله من ضغط. والحالة الضاغطة هنا ليست دائمة، بل إنها استثنائية، فمثلاً في حالة "الاضطرار" نستدل بالآية الكريمة" "... ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ " (البقرة/ ١٧٣) وفي باب تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها. وكذا في حالة "الحرج"، فإن الآية الكريمة تقول: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج/٧٨) وغيرها. ولابد أن نؤكد هنا على أن الأحكام الثانوية تختلف عن الأحكام الولائية (أحكام ولي الأمر)، لأن الأحكام الثانوية هي أحكام شرعية وضعت للعناوين الطارئة، وتنحصر عناوينها فيما ذكر في القرآن الكريم والسنة الشريفة، فهي ترتكز عليها، بينما ترتكز الأحكام الولائية على المصلحة العامة

ومتطلبات الوضع العام للمجتمع، ويصدرها ولي الأمر من منطلق صلاحياته، وهو الذي يحددها، بينما يستطيع الفرد تحديد الأحكام الثانوية في اطار الضوابط والشروط المنصوص عليها.

٥ . المساحة التي ينفذ فيها حكم ولي الأمر، أو ما يصطلح عليه فقهياً بـ "الأحكام الولائية" أو "الحكومية" أو "السلطانية"، وهي مساحة من الأحكام خاصة بولي الأمر الشرعي، أي الذي تولى أمر المسلمين في اطار ضوابط الشريعة، ومنها قابليته على استثمار هذه المساحة من الأحكام الشرعية، وهي القابلية التي ترادف القابلية على الاستنباط. ونعرف الحكم الولائي بأنه: الاعتبار الصادر من الحكم الشرعي بمقتضى صلاحيته الشرعية، والمتعلق بأفعال العباد، وهو يشتمل على الأحكام التكليفية والوضعية. وهذه الأحكام لا تطلق لكل مجتهد، فذلك ما يؤدي إلى تعدد الإرادات الاجتهادية، وبالتالي تفتت وحدة الأمة وتدمير كيانها، وهو ما يتناقض مع مقاصد الشريعة وروحها وغايتها، بل إنها تنحصر في الولي الذي حددت الشريعة مباني ولايته، أي الولي الحاكم. ومن هنا فالاحكام الولائية تختلف عن الأحكام الأولية والثانوية التي يحددها جميع الفقهاء، شريطة أن لا يكون فيها تقاطع مع الأحكام الولائية، كما أنها محددة بموضوعات معينة هي مساحة المباحات في الشريعة وتشمل أساليب تطبيق الشريعة الإسلامية، كأساليب تطبق النظام المالي والاقتصادي أو اساليب

تطبيق مبدأ الشورى. وتدخل الاحكام القضائية في هذا الباب. وباختصار فإن ولي الأمر يصدر الاحكام الولائية في اطار الكليات الشرعية ومقاعد الشريعة، وليس له في هذا المجال – كما يقول الامام الخميني – أن يستبد بالأمر، بل عليه أن يستشير ذوي الخبرة والاختصاص، ثم ينتهي إلى الحكم الشرعي في ضوء:

١ـ مصلحة الأمة، وهنا تسمح الشريعة لولي الأمر بالنظر في المصالح وتحديدها عبر استشارة المتخصصين.

٢ـ الأضوية الكاشفة – كما يعبّر عنها الامام محمد باقر الصدر –، وهي التي اعطته إياها الشريعة ليسلطها على الواقع ويشخص الحكم المطلوب ، ومن هذه الأضوية: الأحكام الولائية التي اصدرها الرسول العظيم بصفته وليًا للأمر، وهذا باب واسع لا نستطيع تفصيله هنا.

٣ـ الأولويات، وهي التي يواجه بها المساحة التي تتزاحم فيها الأحكام فيقدم الأهم على المهم، أو في اطار الاحتياط لقضية معينة، فيصدر حكمًا يستبق فيه وقوعها أو مضاعفاتها، كما هو الحال في مجال سدّ الذرائع التي يظن أنها تؤدي إلى المفسدة، أما الذرائع القطعية الأداء فهي محرمة بالعنوان الثانوي الذي يشخصه المكلّف نفسه ولا تحتاج لحكم ولي الأمر.

وهنا لابد أن أوضح نقطة التقاء مهمة بين المدرستين الفقهيتين الكبريين: مدرسة أهل البيت(ع) ومدرسة أهل السنّة،

وتتمثل في سماح مدرسة اهل البيت(ع) لولي الأمر باستخدام قواعد المصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها، وهي القواعد التي لا يسمح الفقه الإمامي باستخدامها في عملية الاجتهاد بالنسبة لمجمل الفقهاء. فعلى مستوى التطبيق فإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية وضعت اعلى مجلس استشاري في الدولة هو "مجمع تشخيص المصلحة"، لاكتشاف مصلحة الأمة وتحديدها، ثم تقديم القرار لولي الأمر بعد دراسة دقيقة، ثم يقوم ولي الأمر بإصدار الحكم الشرعي المناسب. ونرى أن هذا المجمع يبت في الخلاف – على مستوى التقنين – بين مجلس الشورى ومجلس حماية الدستور، إذ يتخذ القرار بتحديد القانون المناسب الذي ينظر فيه لمصلحة الأمة والدولة.

العلم يضيء لنا الطريق، ويمنحنا القوة. والايمان يشعّ في نفوسنا العشق والأمل والحرارة. العلم يصنع الآلة والايمان يعيّن المقصد. العلم يمنحنا السرعة والإيمان يبيّن لنا الاتجاه. العلم استطاعة والإيمان توجّه نحو الانتخاب الأفضل.

الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري

نحو علاقة أفضل
بين السلفيين والشيعة

حسن الصفار*

• التعصب المذهبي، بما يعني من سعي لفرض الرأي، ورفض للرأي الآخر، هو الأرضية للنزاعات والصراعات • بقي الخلاف السني الشيعي كأوسع ثغرة في جدار وحدة الأمة الإسلامية، تنفذ منه رياح الفتن، وتتسلل مطامع الأعداء ومؤامراتهم • حصل التعاون في مشاريع مشتركة لخدمة المصلحة العليا للأمة • بعض البؤر الساخنة على خط الخلاف السني الشيعي، أربكت هذه المسيرة • حال التشنج والنزاع داخل الأمة، يضعف قدرتها على مواجهة التحديات العاصفة

شهد تاريخنا الإسلامي الطويل الكثير من المعارك والنزاعات الفكرية والمذهبية التي أحدثت شروخاً في السلم المجتمعي، وأوجدت نوعاً من الاحتراب الأهلي، وكان العامل السياسي وراء قسم كبير منها، حيث كانت بعض القوى الداخلية والخارجية، تغذي هذه الصراعات وتدفع باتجاهها لإشغال جمهور الأمة عن قضاياهم الأساسية، ولاستنزاف قواهم فيما بينهم، حتى لا يتّحدوا مقابل تلك القوى المهيمنة، أو الراغبة في التسلط. وكان

---

* - عالم ومفكر سعودي.

التعصب المذهبي، بما يعني من سعي لفرض الرأي، ورفض للرأي الآخر، هو الأرضية للنزاعات والصراعات.

أما تعدد المذاهب، واختلاف الآراء، فتلك حالة طبيعية لا مناص منها، ولا ضير فيها، ما لم يصحبها التعصب البغيض، وممارسة الاستبداد والإرهاب الفكري.

وقد تعافت أمتنا الإسلامية من كثير من جراحات الخصام الفكري والمذهبي التي أصابت كيانها في غابر التاريخ، كالصراع بين الجبرية والقدرية، وبين المرجئة ومخالفيهم، وبين الأشاعرة والمعتزلة، وما نتج عنها من نزاع حول خلق القرآن أو قِدَمه، وكذلك النزاعات بين المذاهب الفقهية، كالخلاف بين الأحناف والشافعية، وبين الحنابلة والأحناف، وبين الشافعية والحنابلة.

هذه الصراعات التي كانت حادّة في قرون سابقة، تجاوزتها الأمة وأصبحت مجرد حوادث وذكريات في التاريخ وآراء ومسائل في الكتب، لها بعض الآثار الفكرية والاجتماعية في الامتدادات الحاضرة لتلك المذاهب والمدارس، لكنها لا تشكل الآن فرزًا حادًا ولا خلافًا متشنجًا.

لقد بقي الخلاف السني الشيعي كأوسع ثغرة في جدار وحدة الأمة الإسلامية، تنفذ منه رياح الفتن، وتتسلل مطامع الأعداء ومؤامراتهم. وقد تحرّك العلماء المصلحون من السنّة والشيعة مطلع القرن العشرين، لسدّ هذه الثغرة الخطيرة المتبقية من

ثغرات الخلافات الكلامية والفقهية. وكان من مظاهر هذا التحرّك الإصلاحي تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة في الخمسينيات، وإنتاج خطاب وحدوي يؤكد القواسم المشتركة، ويحرّر محل النزاع ضمن إطار الخلاف الاجتهادي عقديًا وفقهيًا.

ضوابط لا تنازل

وبفضل ذلك التحرك المبارك، المشار اليه أعلاه، أمكن التخفيف من حدّة الخلاف بين الفريقين بشكل عام، ونشأت علاقات إيجابية طيبة بين جهات واعية من الطرفين، بل حصل التعاون في مشاريع مشتركة لخدمة المصلحة العليا للأمة، مما عزز الأمل بإمكانية تجاوز الأمة لهذه المشكلة في هذا العصر، ليس على أساس تنازل أحد الطرفين عن شيء من قناعاته للآخر، وإنما على أساس الضوابط التالية:

الاحترام المتبادل.

اعتماد نهج الحوار في قضايا الخلاف.

تفعيل التعاون في خدمة المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.

لكن بعض البؤر الساخنة على خط الخلاف السني الشيعي، أربكت هذه المسيرة، وأضعفت حركتها، وفي طليعة هذه البؤر: التشنّج القائم في العلاقة بين السلفيين والشيعة.

فالمدرسة السلفية تمثل تيارًا نشطًا في أوساط أهل السنة، وهو الأكثر أمتلاكًا لأدوات التأثير، ويمتاز هذا التيار غالبًا بالصرامة في الموقف تجاه الرأي الآخر، لذلك كان معارضًا لدعوة التقارب والتقريب بين السنة والشيعة. وقد نشر الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري دراسة حول «مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة» تقع في مجلدين، طبعت أكثر من مرة، وانتهى فيها إلى أن«دعوة التقريب هي البدعة الكبرى التي أرادت أن تعطي الكفر والضلال والإلحاد صفة الشرعية واسم الإسلام، وقد سببت دعوة التقريب خسارة كبرى لأهل السنة، وضررًا كبيرًا لا يتصوّره إلا مَنْ وقف على عدد القبائل التي رُفِّضت بجملتها، فضلاً عن الأفراد...».

وهذا كلام غريب يكشف عن أن سبب معارضة التقارب هو الخوف من تأثير الشيعة على جمهور أهل السنة، ولماذا لا يحصل العكس؟! فالأقليات هي التي تخشى عادة من الذوبان في محيط الأكثرية إن لم تحصّن نفسها بأسوار العزلة والانغلاق.

في المقابل هناك ردّ فعل شيعي عنيف، تمثل في صدور عدد من الكتب والمطبوعات، التي تهاجم الاتجاه السلفي تحت عنوان «الوهابية» وهي تسمية لا يرتضيها السلفيون لأنفسهم.

هل تتحسن العلاقة؟

لاشك أن هناك وضعًا خطيرًا تواجهه الأمة الإسلامية في هذا

المقطع الزمني، لا نظير له فيما سبق من تاريخها، والتيار السلفي هو في قلب دائرة هذا الوضع الخطير، باعتباره جزءًا من الأمة، ولأن بعض الممارسات والمواقف المنسوبة إليه، هي التي انتجت هذه التداعيات الخطيرة، مما جعله في طليعة المستهدفين، دوليًا وإقليميًا.

هذه المعادلة ألا تستدعي من هذا التيار إعادة النظر في علاقاته ومواقفه من سائر الأطراف والجهات في ساحة الأمة؟

إن مما لا يشك فيه عاقل أن حال التشنج والنزاع داخل الأمة، يضعف قدرتها على مواجهة التحديات العاصفة، كما يتيح الفرصة للأعداء كي يلعبوا بأوراق هذا النزاع، لذلك فإن مدّ يد التعاون والتحالف من قبل السلفيين للأطراف الإسلامية الأخرى، هو من أوليات مايدعو إليه العقل والشرع.

أليس من المثير للدهشة والاستغراب أن نرى تسارع خطوات التقارب والتنسيق بين اليهود والمسيحيين، وهم أهل ديانتين متناقضتين متصارعتين، بينهم خلاف عقدي عميق، وصراع تاريخي طويل، لكنهم يتجاوزون كل ذلك، ويتعاونون تجاه ما يرونه خطرًا مشتركًا، بينما نعجز نحن المسلمين عن تجاوز خلافاتنا، والاقتراب من بعضنا، ونحن أهل دين واحد، ونبي واحد، وبيننا هذا القدر الكبير من الجوامع والقواسم المشتركة، ونواجه التحديات والأخطار العاصفة؟!

سبب دائم

بغض النظر عن الجانب السياسي، والمصلحة «التكتيكية» التي يقتضيها الظرف القائم، فإن مسألة الموقف من الرأي الآخر، قضية تستحق إعادة النظر والمراجعة، من قبل الإخوة السلفيين، حكمًا وموضوعًا.

فالمرجعية الثابتة هي الكتاب والسنة، أما آراء فقهاء السلف فهي مع الاحترام لهم، اجتهادات قابلة للأخذ والرد، ولعل المراجعة المباشرة لنصوص الكتاب والسنة، من قبل العلماء والفضلاء السلفيين المعاصرين، تفتح أفقًا جديدًا في تغيير وتعديل هذا الموقف الصارم من الرأي الآخر. هذا على مستوى الحكم.

أما على مستوى الموضوع، فبناء على أن الحكم على شيء فرع لتصوره، فإن أحكام العلماء السلفيين السابقين على الطوائف والاتجاهات الأخرى، ومن بينها الشيعة، جاءت نتيجة تصوراتهم وتقويماتهم لواقع تلك الطوائف، واحتمال الخلل في تلك التصورات والتقويمات أمر وارد، إما لعدم الدقة في معرفة الطرف الآخر، أو للالتباس في فهم آرائه، أو للأخذ ببعض الآراء وتعميمها على الجميع، وقد تكون هناك آراء وتوجهات سائدة لديهم في تلك العصور لكنها تطورت وتغيرت فيما بعد، كل هذه الاحتمالات ينبغي أن تدفع المعاصرين من السلفيين، لقراءة واقع الشيعة القائم اليوم في آرائهم وتوجهاتهم. فمثلاً كانت المدرسة السائدة

عند علماء الشيعة في عصور سابقة: هي المدرسة الإخبارية التي يرى أقطابها صحة ماورد من أحاديث وروايات في الكتب الأربعة (الكافي للكليني ت ٣٢٩هـ، من لا يحضره الفقيه للصدوق ت ٣٨١هـ، التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي ت ٤٦٠هـ) لكن المدرسة الإخبارية قد انقرضت أو تقلّصت إلى حد كبير، وأصبح الاتجاه السائد منذ ثلاثة قرون تقريباً هو المدرسة الأصولية التي لا ترى قطعية صدور كل ما ورد في الكتب الأربعة، بل تخضع مروياتها للدراسة والنقد.

ومثال آخر يرتبط بما يأخذه السنة والسلفيون على الشيعة من الإساءة الى الخلفاء الثلاثة، فإذا كأن ذلك موجودًا في بعض كتب الشيعة وماضيهم وتراثهم، فإنه قد يكون ناتجاً عن الظروف التي كانوا يعيشونها آنذاك من القمع والاضطهاد، لكن الواقع الفعلي للشيعة بعيد عن مثل هذه الأمور، فالشيعة الإيرانيون مثلا وقد أصبحت السلطة بيد علمائهم منذ ربع قرن، ودولتهم من أقوى دول المنطقة، إلا أن وسائلَ إعلامهم، وخطب جُمُعهم التي تبثّ على الهواء، وأحاديث قياداتهم، لم يحصل فيها شيء من هذا القبيل، حتى أيام الحرب العراقية الإيرانية.

وكذلك الحال بالنسبة للشيعة في لبنان، وهم القوة الأبرز هناك، ومع النصر العظيم الذي حققوه على العدو الصهيوني، إلا أن وسائل إعلامهم، مثل فضائية«المنار» لم يرصد عليها شيء من

الإساءة إلى الخلفاء، وأجلاء الصحابة، وأمهات المؤمنين.

إن في ذلك دلالة واضحة على تجاوز واقع الشيعة المعاصر لمؤاخذات كانت تحسب على بعضهم في أزمنة غابرة. وقد يكون هناك افراد منهم متأثرين ببعض الآراء والمواقف السابقة، لكنهم لا يشكلون حالة عامة تبرر التنميط والتعميم. كل هذه الحيثيات وأمثالها، تتطلب من فضلاء المدرسة السلفية المعاصرة، إعادة النظر والمراجعة في الموقف تجاه الشيعة، وسائر الطوائف الإسلامية، وتجاوز حالة الغلو والتشدد تجاه الرأي الآخر، بما يخدم وحدة الأمة، ويتناسب مع سماحة الإسلام، وتحذيره من التكفير والظلم وسوء الظن في احد من أهل القبلة.

لا بديل عن التعايش

مهما كانت إشكاليات السلفيين على الشيعة، وإشكاليات الشيعة على السلفيين، فإن الجميع يعيشون في منطقة واحدة، ولا يستطيع أحد الطرفين إبادة الآخر، ولا أظنه يفكر في ذلك، وهم جميعًا أهل هذه الأرض، وأبناء ترابها، لا يحق لأحدهما المزايدة على الآخر في الأصالة وعمق الانتماء.

أما المراهنة على تغيير المعتقدات والقناعات بالترغيب أو الترهيب، فقد ثبت فشلها.

فالتعايش هو الخيار المنطقي الصحيح، ولا بديل عنه إلا

التفريط بمصلحة الوطن، وتمزيق وحدة الأمة، ومساعدة الأعداء على نيل أطماعهم ومآربهم.

والتعايش لا يتحقق إلا بالمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، وتكافؤ الفرص، من دون تمييز أو تصنيف، وبالاحترام المتبادل بالتوقف عن التعبئة والتحريض من كل جهة تجاه الأخر. إنني أدعو نفسي وأبناء مجتمعي من الشيعة إلى ضبط الانفعالات، ومراعاة مشاعر إخوانهم من أهل السنة بمنع أي إساة لأحد من الخلفاء وأجلاء الصحابة قد تصدر من جاهل أو مغرض منهم، وبأن ينفتحوا أكثر على الآخرين، ويتجاوزوا بعض حالات الانكفاء والانغلاق. كما أدعو إخواني من العلماء والدعاة السلفيين، وكل الواعين والمخلصين منهم، إلى إعادة النظر في موقفهم المتشدد تجاه إخوانهم الشيعة، والذين لا يقلّون عنهم حرصًا على العقيدة، والتزامًا بالدين، وولاء للوطن، وإن اختلفوا معهم في بعض التفاصيل العقدية والفقهية، لأدلة يقتنعون بها، ولاجتهاد قادهم إليها، يرونه حجة فيما بينهم وبين الله تعالى.

ينبغي الكفّ عن فتاوى التكفير، وخطابات التحريض التي قد تصدر من البعض، واستبدالها بالدعوة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما أمر الله تعالى في محكم كتابه.

الموقف من الآخر

ناصر الدين الأسد *

• الحوار بين الغرب والعالم الاسلامي لا يكون مجدياً إلاّ إذا حدث توازن بين الجانبين على أساس تبادل المصالح • يحتاج هذا التوازن الى قوّة تتمثل في التضامن وجمع الكلمة ووحدة الصف. وبذلك تعود للحوار حرارته وقوته • في هذه الحالة يصبح الحديث عن التعاون الثقافي حديثا مؤديا الى الغاية محققا للهدف

حوار الثقافات، أو حوار الحضارات، أو حوار الأديان، أو الحوار الإسلامي المسيحي، أو حوار الشمال والجنوب، أو حوار الإسلام والغرب، أو الحوار العربي الأوروبى، كلها عناوين لموضوع واحد، أو لموضوعات متقاربة متداخلة، لا تكاد تتمايز إلا بشيء من التعميم أو التخصيص. وهي موضوعات كَثُر تناولها في عدد من الكتب والمقالات والمحاضرات والندوات والمؤتمرات، وقد سبق لكاتب هذه الدراسة أن تناولها أو تناول جوانب منها في مناسبات واجتماعات مختلفة، وعرض حينئذ جوهر الأفكار الواردة هنا في صور متعددة، ومع ذلك فالموضوع جدير بإعادة القول فيه، والصبر عليه ومداورته لتوسيع نطاق المتفهمين له والمقتنعين به من الجانبين،

* - باحث اردني معروف.

عسى أن ينتقل الأمر من مرحلة الفهم والاقتناع إلى مرحلة التعاون على العمل المشترك بين جميع المؤمنين بالسلام والعدل واقتلاع بذور الأحقاد بين الشعوب.

ولقد كان هذا الحوار قديمًا قدم وجود الشعوب ذات الحضارات المتجاورة، بحيث كانت دائما تتبادل المعارف والخبرات والسلع وأنماط الحياة من سلوك وملبس ومأكل وطرز عمارة وأثاث وتستعير الألفاظ والعبارات وتقاليد المجتمع فتصبح جزءًا من مفردات لغاتها وأساليب تعبيرها وتدخل في نسيجها الاجتماعي فتنمو بذلك الثقافات وتزدهر، ولولا تغاير الشعوب واختلاف الحضارات ما كان لشيء من ذلك أن يحدث، ومن أجل هذا خلقنا الله سبحانه شعوباً وقبائل لنتعارف، ولو شاء سبحانه لجعلنا أمة واحدة، ولكن حكمته عز وجل اقتضت أن يخلقنا مختلفين، وأن نظل كذلك ربما من أجل هذا التعارف والتبادل والحوار.

وحين كانت العلاقات تضطرب بين هذه الشعوب المختلفة، فتقوم بينهم الحروب، كان يحدث من خلالها الاتصال والتعارف والتبادل والتمازج فتتحقق الأهداف نفسها بالوسائل المتناقضة.

وقد قام في الآونة الأخيرة من يرى أن العلاقة بين الثقافات والحضارات علاقات صراع لا ينتهي إلا بغلبة ثقافة وحضارة بعينهما، وسيادتهما على الثقافات والحضارات الأخرى، من ذلك ما ذهب إليه المؤرخ الأمريكي (من أصل ياباني) فوكوياما في

كتابه "نهاية التاريخ " الذي رأى فيه أن تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية قد أنهيا الصراع في العالم، بسيادة ثقافة النموذج الليبرالي الأمريكي على ثقافات الأمم الأخرى. وما ذهب إليه الأستاذ الأمريكي أيضا صمويل هنتنجتون في مقالته التي نشرها في مجلة "فورن أفيرزforeign Affairs "بعنوان " صراع الحضارات " Conflict of civilizations فقد رأى فيها أن الصراع الحالي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي والشيوعية هو صراع بين الثقافات، وأن الثقافة الغربية الأمريكية تقف في هذا الصراع في مواجهة الثقافة الإسلامية والكنفوشيوسية، وسأعود إلى ذكر هذه المقالة بشيء من التفصيل. وربما كان من المفيد أن أشير في مقدمات هذه الدراسة أيضا إلى أن "البلاد الإسلامية" و"البلاد الأوروبية، تقسيمان جغرافيان على تجاورهما بل تداخلهما يمثلان عالمين مختلفين كل الاختلاف، اصطلح على تسمية أحدهما بالعالم الأول، وتسمية الآخر بالعالم الثالث، ويفصل بينهما زمن يمتد ثلاثة قرون أو أكثر، فالعالم الأول قد ودع القرن العشرين وبدأ منذ حين يستقبل القرن الحادي والعشرين قبل مجيئه، في حين ينظر هذا العالم الأول إلى العالم الثالث المقابل و المجاور له على أنه لا يزال يعيش في القرون الوسطى الأوروبية.

وللقرون والتقسيمات الزمانية بين أوروبا والمسلمين مفهومان مختلفان: فالعصور الوسطى ـ التي هي عصور ظلام في أوروبا ـ هي

عصور نور وازدهار وحضارة عند المسلمين، وعصر النهضة وعصر التنوير عند الأوروبيين هما بدايات عصور التخلف والتراجع للمسلمين. وقد تسارع التقدم والارتقاء عند الأوروبيين منذ ذلك الحين، وتسارع التدني والتقهقر عند المسلمين في شتى أقطارهم. وهكذا أخذت الفجوة بين هذين العالمين في الاتساع إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه الآن بالرغم من بعض التشابه في مظاهر الحضارة والتقدم بينهما في الملبس والمسكن والمشرب والمطعم ووسائل التنقل، فهو تشابه يحمل في طياته بذور الاختلاف الكبير بين عالم مبدع منتج متطور، وعالم مستورد مستهلك لما يبدعه وينتجه ويطوره العالم الأول. وتحت هذه القشرة من التشابه يصطخب التباعد والتناقض والاختلاف.

ومع ذلك فإننا لا نعدم فريقاً من الباحثين يرون أن وراء هذا التطور في الحياة العلمية والتكنولوجيا في دول الاتحاد الأوروبي بقايا واضحة من التمييز العرقى و الدينى، ومن العنف والإرهاب في التعبير عن هذا التمييز، ومن انتهاك الحريات العامة وحقوق الإنسان واستعمال معيارين مختلفين في النظرة إلى الموقف الواحد والحكم عليه. وهم يستشهدون على ذلك بما يجرى بين الحكومة الإنجليزية وأيرلندة الشمالية وما تقوم به الحكومة الفرنسية من التضييق على الحريات الدينية للمسلمين فيها، وما يفعله النازيون الجدد وبعض المتطرفين في ألمانيا من اضطهاد

الأقليات العرقية والدينية ومحاولات قتل أفرادها وإحراقهم وتدمير مساكنهم، وما حدث في البوسنة من التدمير والتطهير العرقي والاغتصاب... ولا يعدو أن يكون كل ذلك سوى أمثلة قليلة تغني عن الاستقصاء.

ويتبادل العالمان المخاوف والاتهامات فلا تزال آثار غزو الشمال للجنوب تحزّ في النفوس وتثير القلق، فمن الحروب الصليبية إلى الاستعمار الأوروبي إلى الاستعمار الجديد، إلى مناصرة القوى الغاشمة والتدخل في الشؤون الداخلية لأكثر دول هذا العالم الإسلامي، والطمع في ثرواتها، ومؤازرة أنظمة حكم معينة، وفرض أنظمة أخرى، للمحافظة على مصالح دول الشمال... إلى غير ذلك من آثار هذه العلاقة المضطربة بين العالمين.

وللشمال أو الاتحاد الأوروبى مخاوفه أيضا وهي مخاوف لها دويّها الإعلامي ولها علماء ومراكز بحوث وساسة يروجونها، ويقترحون من وسائل مقاومتها، ما يصبح خططًا استراتيجية تتبناها الحكومات. ويتمثل أهم هذه المخاوف في أمرين هما: هجرة عدد كبير من أهل الجنوب إلى دول الاتحاد الأوروبى، وتهديد ما يسمونه خطأ بالأصولية الإسلامية لتلك الدول.

ومع كل هذه المخاوف والاتهامات المتبادلة فإن محاولات إقامة علاقات ثقافية بين الجانبين مستمرة في صورة أنواع مختلفة من مؤتمرات الحوار وندواته، فمن حوار عربي أوروبي، إلى حوار الشمال

والجنوب، إلى حوار إسلامي مسيحي. ومع أن هذا الحوار بمختلف أنواعه بدأ ـ في صورته المنظمة الحديثة ـ منذ ما يزيد على عشرين عامًا فإن كثيرين يشككون في جدواه، ويرون أنه لم يحقق شيئًا ذا قيمة حتى الآن.

في خضم هذا الجو من عدم الثقة ومن عقابيل الماضي والحاضر لم يعد يكفي أن يقف المرء موقف المشاهد غير المبالي، ولا موقف المتسامح السلبي، أو أن تكتفي الشعوب بأن تكون متجاورة بينها علاقات سلام، بل لابد من موقف إيجابي من التفاهم وإقامة علاقات متداخلة تقوم على تبادل مصالح مشتركة. وكذلك لابد من محاولة تفهم الآخر، وتقبلة كما هو، دون أن يعنى ذلك تطابق جميع الآراء والاتجاهات أو الموافقة عليها. فالتواصل شأنه شأن التعددية إنما يعنى احتفاظ كل فريق بخصائصه وصفاته، وقبول الآخر على حاله، و إلا انتفي معنى التواصل ومعنى التعددية.

ولابد في هذا المجال من التفرقة بين الأفكار والمواقف وبين التعاون وتبادل العلاقات الثقافية، وكذلك لابد في المجال الديني من التفرقة بين العقيدة والمعاملة، فإن المرء أو الشعب يستطيع أن يحتفظ بآرائه وبمواقفه القومية والوطنية وبعقيدته الدينية، وفي الوقت نفسه يقيم مع من يخالفه أنواع العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية:

﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ .

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ و﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

هذا هو الموقف السليم من التعامل مع الآخر على ألا يكون من أحدهما اعتداء أو ظلم، كاحتلال أرض من يراد إقامة العلاقات معه، وعلى ألا يكون من الفريق الثاني تفريط في عقيدته ولا تنازل عن حقه إلا بالقدر الذي يأخذ مقابله حقًا يعادله أو يفوقه، ليتحقق معنى التواصل والتبادل والتعاون والعلاقات المشتركة .

وفي خضم هذا الجو المضطرب ينشأ السؤال المهم، وهو: كيف نستطيع إقامة علاقات ثقافية بين أوروبا والبلاد الإسلامية وما مستقبل هذه ا لعلاقات؟

لابد أولا من البدء بالنظر فيما وراء الخلافات القائمة سواء أكانت ظاهرة أم مستترة، لتلمس أسبابها ثم لتوضيح وجوه الشبه والتقارب التي يبني عليها مستقبل العلاقات الثقافية. وربما

كان من أوضح المواقف في هذا المجال وأصدقها الموقف الذي اتخذته الفاتيكان في عام ١٩٦٩ م حين أصدرت باللغة الإنجليزية كتابا عنوانه" دليل الحوار بين المسلمين والمسيحيين " وهو مجموعة مبادئ وجهتها "لجنة شئون غير المسيحيين " بالفاتيكان إلى المسيحيين أنفسهم. وقد ذكر الكاردينال يول ماريلا رئيس تلك اللجنة حينئذ، في مقدمته للكتاب ما يوضح الهدف منه بقوله: «إننا حين نخص المسيحيين بخطابنا فإنما نرغب في أن تحفز قراءة هذه الأوراق إلى بدء حوار مع هذه اللجنة ليصل كل منا بالتعاون معًا إلى تهذيب شعورنا بالاحترام للعالم الإسلامي. وبهذه الطريقة نستطيع أن نعد أنفسنا للدخول في حوار حقيقي مع المسلمين حين نخلص للحقيقة ونتجرد من الأنانية في صداقتنا ».

ومن أهم ما جاء في هذا الكتاب وكله مهم ما ورد في الفصل الثاني بعنوان «يجب علينا أن نعمل على معرفة قيم الإسلام ومثله وفيه عرض موجز ولكنه صحيح دقيق لبعض مبادئ الإسلام. وكذلك ما جاء في الفصل الرابع بعنوان كيف نعد للحوار؟ ». ومن عناصر هذا الفصل: «علينا (نحن المسيحيين) أن نعترف بالمظالم التي ارتكبت في الماضي وعلينا أن نتخلص من أسوأ المشاعر».

ونحن إنما أردنا بإيراد هذه الاقتباسات أن نتخذ من ذلك

الكتاب مدخلا للإجابة عن موضوع هذه الدراسة. ويتضح من محتويات الكتاب أن الفهم الصحيح للفريق الآخر، لتاريخه وحاضره ولتراثه وثقافته هو أساس التفاهم، وأنه لا تفاهم بغير فهم، ولا يكون الفهم صحيحاً إلا إذا تحلّى بروح العدل والإنصاف والموضوعية، لأن كثيرًا من محاولات الفهم هي محاولات تؤدي إلى فهم سقيم قائم على الهوى والغرض، ثم يبث وينفث كما تنفث السموم، فتسري في عقول الكثيرين ونفوسهم فتسممها، وتقف حواجز بين الشعوب تحول دون تفاهمها وتعاونها، ثم إن الفهم الصحيح لا يكفي وحده حين يكون كامنًا أو ساكنًا، ولابد من الجهر به وإشاعته وإعلانه، ليصبح قادرًا على مد جسور الثقة وقنوات التقارب بين هذه الشعوب كما فعلت الفاتيكان في الكتاب الذي أصدرته علنًا فدل على الصدق والشجاعة.

وعلى قيمة كل ما تقدم فإنه وحده لا يحقق الغرض إذ يظل محصورًا في نطاق ضيق مهما يبلغ انتشاره، ولا يتاح له التأصيل والتأسيس إلا إذا توافرت له عوامل أخرى من أهمها: ما يمكن أن يسمى بتوازن المصالح. فكما أن لدول أوروبا مصالح في البلاد الإسلامية تحرص على تحقيقها، فإن لدول هذه البلاد الإسلامية مصالح كثيرًا ما تتجاهل وتهدر، فينشأ من ذلك شعور بالظلم، وتسود المخاوف من إقامة أي علاقات لأنها ستكون علاقات غير متوازنة بين قويّ وضعيف، فمعرفة هذه المصالح والاعتراف بها و

إقامة تبادل متكافئ أو شبه متكافئ بينها عامل مهم من عوامل بناء الثقة. وفي مقدمة هذه المصالح مصلحة الأمة في تحقيق ذاتها، وفي حرية تصرفها في ثرواتها، وفي الاعتراف بلغتها وثقافتها وعقيدتها بعيدًا عن محاولات تذويب تلك الذات وطمس معالمها، وبعيدًا عن فرض ثقافة الآخر وطغيان لغته ومصطلحاته ومفاهيمه.

ثم إنه لا يعقل أن تقوم علاقات طبيعية بين شعوب ينشأ أطفالها في مدارسهم على كتب تزخر بالطعن على الآخرين، وتتهمهم بأسوأ الاتهامات وتنزل بهم من مصاف البشر إلى منزلة الوحوش، و تزري بهم وبعقيدتهم وبحياتهم الاجتماعية والثقافية، وتحطّ من شأن مكانتهم في تاريخ الحضارة الإنسانية، وما يلقنه التلاميذ في مدارسهم من الكتب وشرح معلميهم يرسخ في أذهانهم ونفوسهم، ويصاحبهم في مراحل حياتهم، فلابد إذن من تنقية هذه الكتب المدرسية مما فيها من معلومات أملتها روح التعصب والاستعلاء العرقي والنظرة الاستعمارية. فجاءت بعيدة عن الحقيقة والنظرة الموضوعية في معرض الحديث عن الشعوب الأخرى.

والحديث عن الكتب المدرسية يقود إلى الحديث عن كتب التاريخ عامة للصغار وللكبار لجمهرة القراء وللمتخصصين. فهي كتب في أكثرها تحتاج إلى مراجعة وإعادة كتابة بحيث تلتزم

الموضـوعية وتتـوخى الحقيقـة. وتجـيء بعيـدة عـن الإثـارة وزرع الأحقاد دون جور على وقائع التاريخ، ولا حذف شيء من حقائقه. فتلك الوقائع والحقائق أصبحت ملكًا للماضي الذي لا سبيل إلى تغييره. وحذفها عمل من أعمال التزوير والتزييف لا يقل نكرًا عن إقحام وقائع لم تقع، وإضافة أحداث لم تحدث، و إنما المقصود بالدعوة إلى الابتعاد عن الإثارة، وتجنب زرع الأحقاد. هو أسلوب العـرض والتنـاول وطريقـة التعامـل مـع الوقـائع والحقـائق التاريخية. هذا إذا كانت آثار ذلك الماضي بوقائعه قد زالت ولم يعد لها أثر في حياة أبناء الحاضر.

فالحروب الصليبية مثلا قد انقضت وزالت آثارها، وأصبحت لا تعدو أن تكون ذكرى تاريخية، تدرس وتمحص، ويجتهد الباحثون من المؤرخين في بيان أسبابها وشرح مراحلها واستخلاص العبر منها، فهي حقيقة حدثت، ومن غير المقبول ولا المعقول أن يغفل ذكرها، وأن تحذف من سجل التاريخ، ولكن البحث فيها لا يجوز أن يكون عاملا من عوامل إحياء الصراع وتأجيج الأحقاد. وهذا كله يختلف كل الاختلاف عن التاريخ لعدوان لا يزال قائمًا وظلم لا يزال واقعًا. فإن من غير العدل أن ترتفع في هذه الحالة دعوات إلى نسيان الماضي وتصفية النفوس وبدء مراحل جديدة. فذلك الماضي في الحقيقة لم يصبح ماضياً، فهو لا يزال مستمرًا في صورة هذا العدوان الظالم الواقع في الحاضر، و الذي يزداد

استفحالاً وتفاقمًا. ومثل هذه الدعوات إنما هي دعوات إلى تثبيت الواقع الذي فرضته القوة، وإلى اعتراف بالظلم وقبول به، وليست دعوات إلى تصحيح الخطأ وإحقاق الحق.

ولا يقل تأثيرًا في نفوس الناس من تلك الأفلام السينمائية، والبرامج التلفازية والإذاعية، والمقالات الصحفية، التي تشوّه صورة الشعوب وحياتها الاجتماعية والثقافية، وتسخر من عقائدها فتقف حائلا دون التفاهم والتقارب، بما تثير من عوامل النزاع وعوامل الصراع. والأمثلة على كل ذلك أكثر من أن تسرد في النطاق الضيق. وحسبنا أن نستشهد هنا بمثالين:

أولهما تلك المقالة التي نشرها جاك شاهين مستشار شبكة سي. بي. إس. التليفزيونية لشئون الشرق الأوسط ومؤلف كتاب «العربي كما يظهره التليفزيون»، وهي تتضمن عرضًا موجزًا للأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية التي أنتجتها هوليود من سنة ١٩٩٠ م إلى سنة ١٩٩٦ م وأحدثها فيلم " قرار تنفيذي ". وهي كلها تظهر العرب والمسلمين في صورة كاريكاتورية مشوهة غالبًا ما تكون صورة الإرهابيين. وبالرغم من احتجاجات الهيئات العربية والإسلامية الأمريكية، واعتذار الشركات المنتجة اعتذارات شكلية، فإن شيئًا جديًا لم يحدث، ولم تقدم تلك الشركات أي برنامج يبرز صورة إيجابية عن العرب والمسلمين يمكن للمشاهد الأمريكي التعاطف معها. ثم علق جاك شاهين

على ذلك بقوله: «.... إن صانعي الأفلام بإثارتهم مشاعر المشاهدين يستثيرون الأحقاد، ومتى ما اشتعلت نار الحقد فهي لا تبقى على شيء....، ويقول أيضا ويوحي منتجو الفيلم "فيلم قرار تنفيذى" من بدايته إلى نهايته أن العنف جزء لا يتجزأ من الدين الإسلامي والقرآن الكريم، وتحاول مشاهد الفيلم الربط ما بين الممارسات الدينية الإسلامية والإرهاب فيما يردد الإرهابيون صيحات: الله أكبر».

أما المثال الثاني فتلك المقالة التي كتبها صموئيل هنتينغتون أستاذ العلوم السياسية ومدير معهد جون م أولين للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفرد، ونشرتها مجلة "فورن أفيرز" الأمريكية سنة ١٩٩٣ م بعنوان: صدام الحضارات " وهي مقالة تحذر شعوبًا من شعوب بسبب من ثقافاتها، ويرى كاتبها أن ثقافات بعينها- وفي طليعتها ثقافة الإسلام وحضارتهِ هي مصدر الخطر وعامل التهديد لثقافة الغرب وحضارته، بل هي العدو الواجب محاربته والقضاء عليه. وقد نالت هذه المقالة منذ نشرها شهرة مدوية، حتى قيل إنها أصبحت الخطة الاستراتيجية" للولايات المتحدة في مواجهة تحديات المستقبل. وتوالت عليها الردود المؤيدة والمفندة.

فإذا كانت هذه هي آراء جمهرة من الذين يتكلمون ويكتبون ويخططون وهم في مركز القوة، فهل يجدي أن يرفع الذين هم في

مركز الضعف أصواتهم وينادوا بالتعاون والتفاهم بين الثقافات والحضارات؟ نعم، إن ذلك مجد، بل هو واجب، لأن المنادين به هم أصحاب دعوة، وحَمَلة رسالة ينطلقون من موقف إنساني يؤمن بالشعوب ومستقبلها والتعاون بينها. على حين ينطلق الآخرون من موقف معاد للإنسانية مليء بالشك في الشعوب ومستقبلها، وهم لا يرون الحضارة والرقي إلا في أمتهم التي عليها أن تشنّ الحروب وتخوض أنواع الصراع لإخضاع الشعوب الأخرى دفاعًا عن الحضارة ومستقبل البشرية!!

ومع ذلك فإن حملة رسالة التعاون والتفاهم بين الشعوب وأصحاب الدعوة إلى بناء علاقات ثقافية حقيقية بينها موجودون في كل جانب، وهم يجهرون بكلمة الحق، ويقفون مواقف العدل والصدق. وكما استشهدنا في مطالع هذا الحديث بالكتاب الذي أصدرته لجنة شئون غير المسيحيين في الفاتيكان، واقتبسنا بعض عباراته، فإن واجب الإنصاف يقتضينا أن نشير إلى رجل جهر بما يعتقد أنه الصواب، هو الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا، الذي وقف محاضرًا في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عن "الإسلام والغرب". ومما يدخل في صميم موضوعنا أن نستشهد بالرجل وموقفه وأن نقتبس بعض عباراته. وكان مما قاله..

«...إن سوء الفهم بين الإسلام والغرب ما يزال مستمرًا، بل ربما أخذ يزداد. إن سوء الفهم هذا بالنسبة للغرب لا يمكن أن يكون

حصيلة الجهل... إن الإسلام يحيط بنا من كل جانب ومع ذلك يستمر "الشك " والخوف... إن الصراع يندلع نتيجة عدم القدرة على الفهم والعواطف الجياشة التي تؤدي نتيجة لسوء الفهم إلى الخوف وانعدام الثقة... فالذي يربط بين عالمينا أقوى بكثير مما يقسمهما... لقد عانى حكمنا على الإسلام من التحريف الجسيم... أرجو أن تتذكروا أن دولاً إسلامية مثل تركيا ومصر وسوريا منحت نساءها حق التصويت في نفس الفترة التي منحت فيها أوروبا نساءها الحق نفسه، بل قبل فترة طويلة من اتخاذ سويسرا نفس الخطوة. وفي هذه البلاد تتمتع النساء منذ وقت طويل بالمساواة في مجال الأجور.... كما أن القرآن الكريم نص قبل أربعة عشر قرنًا على حقوق المرأة المسلمة في الأملاك والإرث وبعض الحماية في حالة الطلاق وممارسة التجارة... وفي بريطانيا على الأقل كانت بعض هذه الحقوق غريبة حتى على جيل جدّتي... فالتطرف ليس حكرًا على الإسلام بل ينسحب على ديانات أخرى بما فيها الديانة المسيحية.... إذا كان هناك قدر كبير من سوء الفهم في الغرب لطبيعة الإسلام، فإن هناك أيضًا قدرًا مساويًا من الجهل بالفضل الذي تدين به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامى... إن هذين العالمين الإسلامي و الغربي قد وصلا الآن إلى ما يشبه مفترق طرق علاقاتهما، ولا يجوز أن ندعهما يفترقان، وأنا لا أوافق على مقولة إنهما يتجهان نحو صدام في

عهد جديد من الخصومة والعداء، بل إنني على قناعة تامة بأن لدى عالمينا الكثير لكي يقدماه إلى بعضهما...»

«والمحاضرة ـ لنفاسة معانيها وسلامة اتجاهها ـ تغري بكثرة الاقتباس منها، وهو ما فعلنا، وحسبنا منها ما قدمناه لاتصاله الوثيق بموضوعنا ولتوضيحه جوانب منه.

وكل ما ذكرناه كلام قيل مثله وأضعافه في مناسبات كثيرة، ولم ينته إلى شيء حقيقي، سوى ما عبر عنه ذلك الكلام من فكر سديد ونيات حسنة، وهما لا يغنيان شيئًا في الواقع العملي إذا لم يرتبطا بتحقيق مصالح عملية أو معنوية. وقد نشط الحوار العربي في بدء عهده حين أدركت أوروبا مدى قوة النفط العربي وشدة حاجتها إليه. فأخذت زمام المبادرة والاتصال بجامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبعض الحكومات العربية، ودعت إلى تنظيم عدد من ندوات الحوار للتقارب والتفاهم وكانت تلح عليها وتتابعها. ثم أخذت تحرص على نوع واحد من الحوار وهو الحوار الاقتصادي، وتركز عليه، و تتغاضى عما سواه من أنواع الحوار، وخاصة الحوار الثقافي الذي كانت تحرص عليه المنظمات والدول العربية و تطلبه. و مع الزمن تراخت الجهود وسقط الحوار كله ولم ينته ـ بعد عشرين عامًا إلى نتائج ذات قيمة، وإن استمر مظهر الحوار وإطاره الخارجي بعد أن فرغ من مضمونه، حين فقدت أوروبا اهتمامها

الحقيقي به لأنه لم يعد يحقق لها المصالح التي كانت تتوقعها في البداية، ولأن هذه المصالح قد تحققت من خلال الاتصال المباشر بالحكومات العربية بوسائل مختلفة ونتيجة لتفرق الصف العربي.

إن تبادل المصالح هو الذي يحدث التوازن بين طرفي معادلة الحوار والتعاون ولابد لحدوث هذا التوازن من وجود قوة وراءه، والقوة الوحيدة للعرب في الوقت الحاضر تتمثل في التضامن وجمع الكلمة وتوحيد الصف *. وبذلك يعود للحوار حرارته وقوته، ويصبح الحديث عن التعاون الثقافي حديثًا مؤديًا إلى الغاية محققًا للهدف. ولا يكون ذلك إلا إذا قامت بهذه الرسالة هيئة أو مؤسسة أو منظمة عربية مشتركة أعضاؤها من ذوي الخبرة والتصور الصحيح والرؤية المستقبلية السليمة، تدعمها الحكومات العربية، دون أن تملي عليها هذه الحكومات علاقاتها المتقلبة فيما بينها، ولا علاقاتها الخارجية، وعلى أن تترك لها حرية التحرك في نطاق المصالح القومية، وما ينطبق على الحوار العربي الأوروبي ينطبق من حيث الإطار ووسائل التنفيذ والتوجهات على الحوار الذي ننشد بين المسلمين والأوروبيين. إذ من غير الطبيعي أن نستمر في علاقات يواجهنا فيها غيرنا بمواقف

---

* - المواجهة مع الغرب حضارية وليست قومية. ولذلك كان من الأجدى الحديث عن تضامن اسلامي في هذه المواجهة المصيرية. (ثقافة التقريب).

موحـــدة أو متقاربـــة وبتصـــورات وخطـــط واضـــحة ونظـــل نحـــن متفـرقين دون وضوح في التصورات والخطط، بـل ربمـا كنـا أحيانـا نقبل علـى النـدوات والمؤتمرات دون إعـداد كـاف، ودون أن نعـرف مـا نريد، فتذهب مشاركتنا أدراج الريـاح وحـين يعـود ممثلونـا ووفودنـا بشـيء ذي قيمـة (ومـا أقـل مـا يحـدث ذلـك) فإنـه يضـيع في غياهـب الأدراج. أمـا بقيـام هـذه الهيئـة أو المؤسسـة المسـتقلة فإنهـا تضـع الخطط والبرامج ثم تتولى التنسيق والمتابعة. وكل عمل ليس لـه متابعة هو عمل منقطع يضيع دون الوصول إلى غايته ومـا أكثر الأعمال التي تبدأ ثم لا تنتهي إلى شيء.

- لـو أن الأفكـار الإسـلامية قُـدّمت بشـكلها الصحيح، فإنهـا سـتبعث علـى الحيـاة والحركـة والنموّ والبصيرة والقوّة.
- العمـل في سـبيل الـذات ذاتيـة، والعمـل في سـبيل النـاس صـنمية، والعمـل في سـبيل الله والنـاس شـرك، والعمـل للـذات وللنـاس في سـبيل الله توحيد.
- القوة الوحيدة التي تحول دون استحالة شعب في شعب آخر، أو فرد في فرد آخر هو الشعور بالهوية والشخصية.

الاستاذ الشهيد مطهري

الحوار الفكري

بين أبناء الأمة الإسلامية

من استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية
(المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة)

• الحوار هو المنطلق الأول لقواعد الاتفاق • المقصود بالحوار الفكري تبادل المعرفة وقبول الحجة المنطقية • اللقاءات الفكرية تسهل التعريف بأنشطة التقريب بين المسلمين • الملتقيات والمعسكرات الشبابية من أنسب فرص التبادل العلمي • التبادل المعرفي ينمّي المعارف ويفتح الآفاق العلمية ويوضح ما كان خافيًا على هذا المذهب أو ذاك.

إن الحوار الفكري الإسلامي، الذي يستمد مرجعياته المنطقية الأساس، ومنطلقاته الفكرية، وأساليب أدائه، من أسس الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول الأعظم سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة للعالمين، والتزم بها قولاً وعملاً الصحابة الراشدون، ومن تبعهم من الأئمة والفقهاء والمجتهدين، يعتبر ضرورة قصوى ومطلبًا حياتيًا ذا أثر بالغ وحيوية متناهية، لكونه المنطلق الأول لقواعد الاتفاق، والمرتكز الأساس لقبول الجدل العلمي الموصل إلى أحد مقاصد الإسلام العظيمة، وهو التآلف والتقارب والتناصح.

وإذا كان ديننا الإسلامي في مفهومه التشريعي قد أوجب الحوار الحسن، والجدل المقنع مع الكفار والمشركين: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. كما يقول جلَّ وعلا، فهو بالأولى والأحرى إلزامي عند مقتضيات تحاور الإخوة المسلمين، ولاسيما حول مجمل قضايا الساعة ومستقبل أمرهم. ومن أهم الأمور الدينية والدنيوية، الحفاظ على الذات الإسلامية، وعلى هوية المسلمين الحضارية. والمعروف من قضية آية الحوار والجدل أنها تضمّنت أمرًا بوجوب الحوار الحسن في كل القضايا الحياتية، وبالذات منها ما يتعلق بأمور الدين، وإنما بألطف الكلام وأرهف العبارات، وأقوى الحجة وأصدق الدليل، وبأكثرها حصافة وموضوعية، تعزيزًا للروابط الإسلامية الجامعة، وتمتينًا لوشائج الوحدة والقربى، وتعميقًا للصلات الأخوية بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة.

والمقصود بالحوار الفكري في هذا المشروع : تبادل المعرفة وقبول الحجة المنطقية المدعمة بالدليل الشرعي الصحيح، دون جمود أو تصلب، أو عصبية مذهبية أو عرقية، أو أي نوع من أنواع العصبيات الذميمة المخالفة للقواعد الإسلامية. ويقتصر الجدل والحوار، وتداول الحجة العلمية الصحيحة شرعًا وعقلاً على العلماء والفقهاء وأصحاب الفكر الإسلامي والمجتهدين، ممن بلغوا من العلم مستوى يؤهّلهم لولوج هذا الميدان الحيوي المهم.

والحوار بين أبناء الأمة الإسلامية، لابد أن يسير وفق ضوابطه المعروفة، وفي إطار منهجية محددة ومدروسة، تستقي من آداب الحوار الإسلامي، وتحدّ آفاقه ومحاوره، وتشرف على تنفيذه، راعية هذه الإستراتيجية ـ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ بقصد ضمان النجاح والاستمرارية، والوصول بالحوار إلى آفاقه وغاياته وأهدافه. ويدخل في إطار الحوار ما يلي :

١ـ اللقاءات الفكرية والعلمية بين قادة الرأي والعلماء والمفكرين والفقهاء الشرعيين، وبمشاركة الأجهزة المختصة المعنية، سواء منها ما كان على المستوى الرسمي، أو على مستوى المنظمات الحكومية وغير الحكومية العاملة في إطار العمل الإسلامي، بقصد توسيع قاعدة الحوار وشموليته لأكبر جمهور إسلامي ممكن، وبغرض تضافر العمل المشترك وتبادل الرأي والمشورة، وانتشار أضوائه على كل بقاع العالم الإسلامي، وليسهل التعريف بالأنشطة التي تستهدف التقريب والتلاحم الفكري والمذهبي بين أفراد المسلمين.

٢ـ ملتقيات الشباب المسلم والاستفادة من معسكراتهم الشبابية التي يجب أن تتكرر موسميًا، على أن يتجمهر لها الشباب المسلم في مخيمات إسلامية محلية وإقليمية، وتقدم لهم الصور الصحيحة عن الإسلام وحياة الصحابة الراشدين وحول الوحدة الإسلامية، وليكتسبوا فيها المعرفة الصحيحة للمذاهب

الإسلامية، ويتبينوا الحقائق عن صور الاختلافات الفقهية. ملتقيات الشباب المسلم تعتبر مهمة وضرورية، ومن أنسب فرص التبادل العلمي وأفضلها، لاستجلاء المعرفة الصحيحة والمعلومة الحقيقية عن المذاهب الإسلامية.

٣ـ مراكز العلم والثقافة ومجالس العلم، بحيث يدمج في مناشطها ويتم التركيز فيها، على محاور ومواضيع تتعلق بالتعريف بمساوئ الاختلافات المذهبية وشرح أسبابها ونوازعها، بغرض تعميق فهم الإسلام، وتبيان مقاصده وتكامله، في سبيل حياة أفضل.

على أن تستغل لهذه الأنشطة : قاعات المراكز الثقافية، وفصول التعليم، وأماكن الدراسة، وميادين نشر المعرفة، ومقار الجمعيات والاتحادات المهنية، باعتبارها من الوسائل المتاحة، ولما لها من أدوار إيجابية، في توعية الجماهير، وقدرتها على الإسهام في تصفية ما علق بأذهان المشاركين من المتمذهبين عن المذاهب الإسلامية، يصاحب تلك الأنشطة، تكرار المؤتمرات المحلية والوطنية، المتخصصة في ميادين التقريب، والمشاركة الفاعلة في المؤتمرات الإقليمية والدولية التي تتولى معالجة موضوعات الخلافات المذهبية الإسلامية، وبما يمكّن من التعرف على أساليب التقريب ووسائله.

٤ـ تبادل المعارف والكتب والمطبوعات والنشرات التعريفية

المتضمنة مواضيع تستهدف التقريب، والدراسات البحثية العلمية التي تهتم بالتعريف بفقهاء الإسلام وأئمة المذاهب الإسلامية ومجتهديها، مع التركيز على توسيع قاعدة النشر والتأليف، والاهتمام بالمذاهب الفقهية وتبيين مصادرها التي اعتمد ت عليها في كل مسائلها الاجتهادية لمناقشتها، والتحاور حولها، بما يضمن إغناءها والوصول بها إلى غاياتها في الوحدة القلبية المطلوبة إسلاميًا، وسواء تم ذلك عن طريق تبادل المطبوعات والنشرات والمؤلفات، أو استعمال وسائل التواصل الحديثة، كالإنترنت ونحوها، من وسائل التواصل الفاعلة و القادرة على تبادل الحوار المباشر، لتتعمق معرفة الآخرين بمكانة هذا المذهب أو ذاك، والتعرف على مواقفه من خلال عرض اجتهادات فقهائه وتصفح آرائهم المبنية على مصادر التشريع الإسلامي، وبذلك تنموالمعارف وتتفتح الآفاق العلمية، وتتضح صور ما كان خافيًا عن هذا المذهب أو ذاك.

> أثبتت التجارب التاريخية أن انفصال العلم عن الإيمان يؤدي إلى خسائر فادحة. والإيمان يجب معرفته في ضوء العلم. الإيمان يبتعد عن الخرافة في شعاع نور العلم.
>
> **الأستاذ الشهيد مطهري**

البناء المعرفي والتقريب

حيدر حبّ الله*

• جهود علماء الملل والنحل يجب أن تكون محل نقد وتمحيص • المذهب الواحد ربما لا يلتقي في جميع النظريات الكلامية • في ظل تحديات العولمة تقفز إلى الواجهة موضوعات كلامية أكثر حاجة اليوم للمسلم• علم التاريخ الاسلامي لابدّ من إعادة ترتيب أوراقه • كثير من علمائنا القدامى اعتبروا مجتهدين على المذاهب كافة لا الاقتصار على مذهب معين • على علماء المذاهب توفير كل ما من شأنه أن يساعد في فهم علماء المذاهب الأخرى.

لعل أهمّ الحاجات اليوم في موضوع التقريب بين المسلمين، حاجة إصلاح البناءات المعرفية والركائز العلمية وعمليات تكوين العقل وتصنيعه، ويمكن في هذا المضمار إثارة مجموعة أفكار:

أ ـ علم الكلام الإسلامي: لا شك أنّ لعلم الكلام دورًا في تقريب أجزاء الأمّة أو بثّ الفرقة والخصام بين أبنائها، كما لا شك في أنّ نسق التصنيف في هذا العلم، لا سيما علم الملل والنحل منه،

---

* - كاتب وباحث لبناني.

كان ذا دور فاعل في قراءة المسلمين بعضهم بعضًا، من هنا تبدو ضرورة إجراء تعديلات وإصلاحات في بنية علم الكلام ونظامه الدراسي معًا، كما في وعيه وفهم مقولاته إذ:

أوّلاً: لم تعد مصادر علم الكلام، ومراجع الملل والنحل التقليدية حاكيةً عن واقع الانقسام الطائفي والمذهبي والكلامي عند المسلمين، ذلك أنّ جهود علماء الملل والنحل كانت ـ ويجب أن تكون ـ محل نقد وتمحيص، فكثيرًا ما جُعل بعضُ أصحاب المقالات رؤساءَ مذاهب، كما ضخّمت صورة فرقةٍ لم يكن لها في التاريخ سوى أنصار محدودين في الزمان والمكان، وأدّى هذا التصوّر إلى تشكيل صورة خاطئة عن انقسامات بعض المذاهب وانشعاباتها، وظلّت هذه الصورة ممثّلةً لنمطية القراءة الكلامية لدى الكثير من المسلمين، دون أن يجري نقد حقيقي ـ لا طائفي ـ لها، وهذا يعني أنّ الصورة التي تقدّمها مراجع الملل والنحل لا ينبغي اعتبارها نهاية الكلام وفصل الخطاب، بل يبقى المجال مفتوحًا لإعادة النظر وتقويم المشهد.

ثانيًا: إضافةً إلى ذلك، وبغضّ النظر عن صواب الصورة التي تصنعها كتب الملل والنحل الموروثة، من غير المعلوم أن تظلّ هذه الصورة على حالها، فالقياس الحنفي لم يبقَ في صورته النظرية على حاله بل تطوّر تطوّرًا مذهلاً، فمن العجيب ما نجده لدى بعض المعارضين للقياس من نقدهم لصورته القديمة البالية، دون

التفات إلى حدوث تطوّرات فيه، ينبغي درسها ثم تأييدها أو نقدها في مرحلةٍ أخرى، بل حتّى مفهوم الإمامة في الفكر الشيعي لم يبق على حاله الأولى، بل عرف تطوّرات كبيرة جداً ومختلفة الأبعاد، فنحن لا نريد أن نوفّق ونقارب بين أهل السنّة الذين يعيشون في القرن الخامس الهجري وإخوانهم الشيعة في القرن نفسه، لنحلّ صراعاتهم آنذاك في مدينة بغداد، حتى نذهب إلى مصادرهم في ذلك القرن، ولا ننظر لما حدث بعد ذلك من قرون، بل نريد التوفيق بين شيعة القرن الخامس عشر وسنة القرن نفسه، ومن ثم فنحن مطالبون بدرس العقائد الحالية للمذاهب، علاوة على درس تطوّرها التاريخي، وهذا ما يعني أنّ مصادر الملل والنحل التقليدية والآراء الكلامية المدرجة في كتب الكلام لم تعد هي المرجع الوحيد لتحديد مواقف مذهبٍ أو آخر، إذ لعلّ الكثير ـ بل هذا هو الواقع ـ مما هو مسطور من آراء في مصادر الكلام والنحل إما انقرض إلى غير رجعة، أو حدثت فيه تحوّلات جذرية أو طفيفة، ومن ثم لا يحكم على أساسه حكم نهائي، وهذه قضيّة حساسة وخطيرة في الوقت نفسه.

أضف إلى ذلك، أن المذهب الواحد ربما لا يلتقي في تمام النظريات الكلامية، فلا يجدر بالشيعي تصوّر أن أهل السنّة برمّتهم قائلون بالقياس، أو حاكمون على الحسين(ع) باستحقاق القتل لخروجه عن سلطان زمانه، لأجل أن فريقاً من أهل السنّة

ذكر ذلك، كما لا يصحّ تصوّر أنّ الشيعة يقولون بتحريف القرآن، أو الولاية التكوينية لأهل البيت (ع)، لأن فريقًا منهم قال بذلك، فالبعض ما زال إلى اليوم ـ مع الأسف ـ ينسب آراء الإسماعيلية إلى الإمامية، إذن فيجب فهم الانشعابات الداخلية للمذاهب والفرق في العصر الحاضر، حتى لا نقع في تعميمات زائفة، أو نصدر أحكامًا مجانبةً للصواب.

على صعيدٍ آخر، غرق علم الكلام في الجدل الداخلي، فنافحت المذاهب فيه عن عقائدها واستخدمته لتثبيت أركانها، أكثر مما نافح فيه المسلمون عن عقائدهم لرد شبهات المسيحية واليهودية وغيرها.

من هنا، ربما يكون تفسير هذه الظاهرة تفسيرًا سياسيًا وتاريخيًا هو التفسير الأنسب، ولذلك أعتقد بأنّ أولويات علم الكلام اليوم يفترض أن يعاد تحديدها، لتتحوّل بعض الخلافات المذهبية إلى موضوعات هامشية في سلّم قضاياه، وتقفز إلى الواجهة موضوعات كلامية أكثر حاجةً اليوم للمسلم في ظل تحديات العولمة، والغزو الثقافي، والإبادة الفكرية التي يقوم بها الغرب، وهذا ما يساعد ـ أولاً ـ على عصرنة علم الكلام، وثانيًا، على حيويته ونضارته، وثالثًا على توفّر الاستجابة الطبيعية فيه لمهمّات القضايا الفكرية ومشكلاتها في حياة المسلم المعاصر، وتنحية الخلاف المذهبي ليأخذ موقعه الجديد في ظل إعادة بلورة علم

الكلام من شأنها أن تخفّف من حدّة هذا الخلاف، وتعيد إنتاج رؤى جديدة عن الآخر المذهبي في ظلّ أوضاع العصر وتطوّرات الحياة.

ينبغي أن يسمح للمتطرفين أن يمسكوا زمام أمور المذاهب، بل يفترض أن ينهض المستنيرون لخلق معادلة جديدة من العمق الديني نفسه، لا عبر تفكير ليبرالي سلبي متخارج والدين، وعبر هذا السبيل يمكن توفير فرص تقارب بين المذاهب الإسلامية كافّة.

ولسنا نقصد من ذلك، تحييد أي جهة داخل أي مذهب، فإنّ هذا ما نراه خطأ حقيقيًا، سيما المرجعيات الدينية التقليدية في المذاهب، إننا نوافق تمامًا على ما طرحه بعض العلماء من ضرورة إشراك المرجعيات الرسمية في المذاهب في حركة التقريب، إذ بدونهم لا يتسنّى فعل الكثير، لكنّنا نقصد أن لا نسمح للتيار المتطرّف في المذاهب كافّة باحتكار تمثيلها، بحجّة أنّه الأكثر أصالةً، والأكثر تدينًا، والأكثر سلفية.

ب ـ علم التاريخ الإسلامي: ومن العلوم الأساسية التي لا بدّ من إعادة ترتيب أوراقها، علم التاريخ الإسلامي، لقد كتب هذا التاريخ تحت رعاية السلاطين من الأطراف كافّة، وكان يراد بذلك ـ في كثير من الأحيان ـ إرضاؤهم إما بالكذب والتزوير، أو بالإخفاء والتعتيم، وكانت السلطة السياسية من أكثر السلطات حاجةً في تاريخ المسلمين للصراع المذهبي، فكانت تذكي نيرانه،

وتلهبها، كي تستفيد من ذلك استفادةً عظيمة، ولهذا شاهدنا التاريخ الإسلامي في الشكل الذي عُرِض لنا، مظهرًا من مظاهر الصراع الطائفي البغيض، حتى قال الشهرستاني (٥٤٨هـ): «ما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سُلّ على الإمامة في كلّ زمان» (الملل والنحل/ ١/٣).

إننا بحاجة إلى رسم صورة أكثر منطقية عن هذا التاريخ، وإعادة إظهار جوانب التعايش الكامنة فيه، لا نريد تزوير التاريخ لصالح مشروع التقريب والعياذ بالله، ولا نريد فعل أيّ شيء ينافي الحقيقة، إنما نقصد إعادة إظهار ما سترته الظروف المريرة، وهذا ما نراه ضروريًا جدًا، لا تقلّ ضرورته بالنسبة للسنّي عن ضرورته بالنسبة للشيعي، فلدى الطرفين موروثات من صور تاريخية ما تزال حاضرة في الذاكرة الجماعية يصعب فعل أيّ شيء مع وجودها أو عدم إصلاحها.

إن معاهدنا الدينية وجامعاتنا الإسلامية وحوزاتنا العلمية مطالبة بإجراء هذه التعديلات الجدّية في علمي الكلام والتاريخ، لإعادة إنتاج وعي جديد للذات وللآخر، يمكن في ضوئه الشروع بحياة أفضل.

ج ـ الاجتهاد وآليّاته وعلومه: ولا تقتصر ضرورات الإصلاح المعرفي والمناهجي على علمي الكلام والتاريخ، بل تطال ـ وربما قبلها أيضًا ـ العلوم الدخيلة بالاجتهاد الفقهي. لقد عُرِفَ الكثيرُ

من الفقهاء القُدامى مجتهدين على المذاهب كافّة، لا على مذهبٍ دون مذهب، إلاّ أنّ انحسارًا مشهودًا في هذا الاطلاع على فقه المذاهب الأخرى سيطر في القرون الثلاثة الأخيرة، ولربما بإمكاني القول دون تحيّز: إنّ ذلك في النطاق السنّي كان أكبر منه ـ تاريخيًا ـ في النطاق الشيعي، لأسباب لسنا في معرض الحديث عنها فعلاً.

إنّ تحدّيات العصر التي تثقل كاهل الفقه الإسلامي صارت تتطلّب اجتهادًا إسلاميًا، لا مذهبيًا فحسب، ونعني بذلك أنّه لم يعد الاجتهاد في الحنفية أو الشافعية أو المالكية أو الحنبلية أو الجعفرية لوحده اجتهادًا صحيحًا بما للكلمة من معنى، بل صارت الضرورات العلمية وغيرها تتطلّب من الفقيه أن يكون ملمًّا بجميع المدارس الفقهية الإسلامية، ليتسنّى له تكوين صورة أوضح وأنضج في الوقت عينه.

ينبغي ترويج الدعوة التي أطلقها العلامة المغفور له الشيخ محمد مهدي شمس الدين لاجتهاد إسلامي يستوعب مدارس الفقه ومذاهبه، دون أن تحجزه أو تحدّه الخلافات العقدية، فهذه الخلافات لا تلغي تمامًا قيمة النتاج الفقهي والقانوني عند الطوائف الأخرى.

فكما يدرس الشيعي أدلّة الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) والعلامة الحلّي (٧٢٦هـ) والشيخ مرتضى الأنصاري (١٢٨١هـ)، عليه أن

يستعرض في سياق بحثه أدلّة الإمام الشافعي (٢٠٤هـ)، وأبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ) والشيخ ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) وغيرهم من علماء الأطراف الأخرى، ليخرج بنتيجة فقهية مستوعبة.

إنّ هذا الدمج في البحث الفقهي يلغي ـ إلى حدّ ما ـ الفقه الطائفي المتحيّز، ولا نريد به أن يتنازل الحنفي عن فقه أبي حنيفة، أو يذر الشيعي فقه الإمامية بل أن يختار ما يشاء شريطة أن تكون عناصر بحثه مستوفية للمدارس الفقهيّة، فيما نراه مقدّمة ضروية لفقه إسلامي يتخطّى المذهبيّة التي تقصي الآخر ولا تعترف له بشيء، ويقلّص غُربة المدارس الفقهية الأخرى، التي لا يعرف هذا الطرف شيئًا عنها ولا ذاك، مع الأسف الشديد.

وليس الفقه الإسلامي وعلم الشريعة هو الوحيد الذي يمكنه أن يساهم في هذا المجال، بل علم الرجال والحديث أيضًا، فقد استُبعدت المصادر الرجالية السنيّة في علم الرجال الشيعي، كما أُقصيت مصادر الرجال الشيعي في علم الرجال السنّي، ولعلّ انعدام الثقة والحسّ المذهبي هو الذي ساعد على هذا الإقصاء المتبادل.

إنّ تكوين الموسوعات الرجالية ومصادر الجرح والتعديل وفق معطيات المذاهب الإسلامية المختلفة يمكنه أن يثري الوثائق التاريخية والمستندات القديمة، للتعرّف على أحوال الرجال والرواة في مصادر الحديث المختلفة، وهكذا الحال في مصادر التراجم،

فنحن بحاجة إلى «أعيان المسلمين» كافّة وليس فقط إلى «أعيان الشيعة»، دون أن تعني دعوتنا هذه تخلّي أي طرف عن آرائه، وإنما استطلاعه التراث بصورة إسلامية متعالية، ليكوّن بعد ذلك لنفسه من الآراء والمواقف ما شاء.

وهكذا الحال في مصادر الحديث الشريف وموسوعاته، فقد سبق أن قدّمنا اقتراحًا بموسوعةٍ حديثية تستوعب مصادر الحديث الإسلامي برمّته، ليتسنّى للباحثين مراجعة تمام النصوص المأثورة في أي موضوع عند المذاهب كافة، لا لتقصى نصوص فريق لصالح آخر، أو تحذف ويحكم عليها بالضعف، فقط لأنّها مرويات مذهبٍ آخر، فما هذا بالدليل على بطلان الحديث دائمًا، فينبغي أن تصنّف موسوعة حديثية وموسوعة رجالية وموسوعة تراجم تكون مرجعًا للعلماء والفقهاء والباحثين من الأطراف كافة، وهذا ما يساعد ـ في تقديري ـ على تقارب التصوّرات، وتقلّص المسافات، وتبدّد الغربة الفكرية الحاكمة على المذاهب.

أما إذا اكتفينا بتضعيف بعضنا لروايات البعض الآخر، لخرجنا خاسرين كلّ مشترك غير القرآن الكريم، بل حتّى القرآن الكريم لن يسلم، ما دام الشيعة يتهمون السنّة بالقول بتحريف القرآن، والسنّة يتهمون الشيعة بذلك، وأنّ عندهم قرآنًا غير هذا، فالمستفيد الوحيد هو المستشرق وغير المسلم، إذ ستنهار ـ بالاتهامات المتبادلة ـ مصادر الحديث والرواية، بل والكتاب

والتاريخ، وسيعمّ سلطان الفوضى كل شيء عقب ذلك.

إنّ هذه الإصلاحات في مصادر البحث الديني ومناهجه، تحتاج إلى خطوات عملية أخرى أيضًا، تساعد على تبديد حواجز الثقة، فحتّى الآن، هناك الكثير من علماء الدين من مذاهب أهل السنّة ما زالوا يتصوّرون أن ليس عند الشيعة علماء ولا حديث ولا فكر ولا فلسفة، بل خرافات وهرطقات، كما وما زال هناك العديد من علماء الشيعة وطلاب الشريعة في الحوزات العلمية يستخفّون بالنتاج الفكري السنّي، ويرونه لا يحوي على شيء، سوى استحسانات مزاجية أو أوهام غير علمية، بل يتعدّى الحال ـ أحيانًا ـ عند الطرفين حدًّا، لا يتصوّر فيه بعضٌ من هذا الفريق أنّ هناك مؤمنين أتقياء في الفريق الآخر، إنما مجرّد مخادعين كذابين لا يخشون الله تعالى، وهذا ظلم عظيم جدًا بحقّ بعضهم بعضًا، وحكم جائر لا يقوم على واقع ولا ينبني على أساس.

وليس لهذه الأحكام من سبب إلاّ الغربة عن بعضنا بعضًا، وعدم الاحتكاك الاجتماعي والتواصل المعرفي، وإنّك لتجد في كل فريقٍ منّا جماعة تعرف ما في المسيحية وما عند الغرب أكثر مما تعرف عن الفرقاء المسلمين الآخرين، وربما يحتاج رفع هذه المشاكل إلى برامج، من نوع إقامة زيارات متبادلة لطلاب العلوم الدينية إلى المعاهد الدينية للمذاهب الأخرى، للتعرّف عليها عن كثب، ليس لنخبة قليلة فقط، بل لأكبر قدرٍ ممكن من العلماء

والطلاب، كما يحتاج ذلك إلى القيام بمشاريع تبادل ثقافي بين المعاهد الدينية من تبادل الكتب والمجلات والنشريات وغيرها، وعدم الحجر على ذلك، بل الترحيب به، وإفساح المجال لبعضنا بعضًا أن نتعارف ونفهم ذواتنا أكثر فأكثر.

ولا مانع من قيام مشاريع مشتركة، من تدوين موسوعات أو مصنفات، وتوفير حركة السياحة المتبادلة، ووضع برامج تلفزيونية وسينمائية تعرّف الأطراف ببعضها بعضًا، وتقرّب بين وجهات النظر، إلى غير ذلك من عشرات المشاريع التي يمكن فعلها، دون الاكتفاء ببعض المؤتمرات القيّمة، التي نخشى أن يطغى على بعضها أحيانًا طابع المجاملات والتكرارية.

وفي هذا السياق، تبدو أهمية ترجمة النتاج الفكري للمذاهب والقوميات الإسلامية المختلفة، لكي يكون كل طرف على دراية بما يحدث عند الآخر، ويكون المشهد الديني والثقافي واضحًا لدى الجميع، نخصّ هنا، نقل المشهد الثقافي الإيراني إلى العالم العربي، والمشهد الثقافي العربي إلى إيران، وهو ما من شأنه توضيح الصورة، ودفع كل أشكال الالتباس أو الخطأ فيها.

كما نؤيد الاقتراح الذي كان تقدّم به قديمًا الشيخ محمد أبو زهرة، والذي ينصّ على ضرورة تعلّم المسلمين اللغة العربية، زيادةً على لغتهم الأم، بل نزيد عليه، ما اقترحه الشيخ محمد تقي القمي مؤسس حركة التقريب في القرن العشرين، من ضرورة أن

يتعلّم كل واحد من المسلمين لغةً يحملها شعب مسلم غير لغته الأم، فيتعلَّم التركي اللغة الفارسية، والإيراني لغة الأوردو، والعربي اللغة التركية وهكذا حتى تتضاءل الهوّة ويصبح بالإمكان التعرّف على بعضنا ونتاجنا الفكري أكثر، ويشتدّ هذا الوجوب ويتأكّد في حقّ طلاب الشريعة والعلوم الدينية من الأطراف كافّة.

ويبقى أن نقترح أن تخصّص أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير في الكثير من المعاهد الدينية لدراسة شخصيات متبادلة، فيدرس الشيعة شخصيات أهل السنَّة، ويدرس الزيدي شخصيّةً إمامية إثنا عشريّة، ويدرس السنّي شخصية شيعية، ليكون ذلك كلّه مدعاةً إلى التقارب واكتشاف بعضنا بعضًا، في جوّ سليم بعيدٍ عن المشاحنات والسجالات البغيضة المقيتة.

وعلى علماء الطوائف توفير كل ما من شأنه أن يساعد في فهم علماء الطائفة الأخرى تراثهم، فيحاولون تقديم تراثهم لهم بلغات واضحة جلية تقترب فيها المصطلحات، لتتقارب فيها الأفكار، إن شاء الله تعالى.

كومنولث إسلامي

مشروع مالك بن نبي للوحدة

عمّار الطالبي *

• مبدأ عدم التدخل ألغي بدعوى ملاحقة الارهابيين! • الظروف الراهنة تتطلب إقامة نظام أمني جديد • سلك بعض الاستراتيجيين مسلك الدعوة إلى صراع الحضارات • لابد من إزالة الهواجس والمخاوف من الغربيين تجاه الإسلام • التعارف يعني الشراكة المعرفية • يرى مالك بن نبي أن إرادة القوة سيطرت على الحياة الدولية • يقترح مالك أن ينحو العالم نحو تحضّر المتخلفين وتخلّق المتحضّرين • التعالي الغربي يبعث على اتخاذ موقف انفعالي تجاهه.

يمكن القول بأن انتهاء فكرة الحرب الباردة لم يختف تمام الاختفاء لدى أصحاب التفكير (الجيو- سياسي) لخصوم الأمس، فما يزال الغرب يعتبر روسيا بمثابة الاتحاد السوفياتي، كما أن روسيا ماتزال قلقة مما تقوم به الولايات المتحدة في الميدان الدولي، وتأخذ في الاعتبار المواجهة القديمة، مع أن روسيا شريك محتمل للمجموعة الأوروبية، وحلف الأطلسي باعتبار أن السلم العالمي تهدده النزاعات الإقليمية.

---

* -أستاذ جامعي جزائري.

طرأت عدة متغيّرات أيضًا على الساحة الدولية، ومن ذلك أن مبدأ عدم التدخل في شؤون الدول غير معمول به في العلاقات الدولية اليوم بدعوى "الجرائم الدولية" التي تتطلب تدخّل الدول على أساس ما عبّر عنه الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان "بالسياسة الخارجية الأخلاقية" بحيث تصبح المصلحة الجماعية الدولية معادلة للمصلحة الوطنية.

ومن أهم المتغيرات تغيّر المفهوم الاستراتيجي للحلف الأطلسي، بحيث أصبح سائراً مع الاتجاه الذي سارت إليه الأمم المتحدة من التدخل أيضا بعد ماكان هدفه دفاعيًا فحسب.

ومن شأن العدوان على مبدأ عدم التدخل وإلغائه أن يهدم أسس النظام الدولي، بدعوى أنه يقوم على الاعتبارات الإنسانية التي تختلط في الواقع مع المصالح الاستراتيجية والاقتصادية التي يقوم عليها مبدأ التدخل باستعمال القوة العسكرية، وهذا يمكن أن يؤدي إلى ازدياد الحروب بدلا من أن يؤدي إلى حلّ للأزمات والنزاعات الإقليمية، كما يصبح مفهوم الردع غير كاف لمنع حدوث هذه النزاعات.

إن الظروف الراهنة التي نشاهدها يوميًا تدعو إلى ضرورة حوار لإقامة نظام أمني فعال لا يقتصر على منطقة الحلف الأطلسي، وإنما يكون بمشاركة كل دول العالم وشعوبها من أجل الوصول

إلى سلام عالمي له مواثيقه وأسسه، التي تضمن له نوعًا من الدوام بما في ذلك العالم الإسلامي، الذي يتوجّس منه الغرب وينظر إليه بعين الريبة بدون وجه حق، صارفًا بذلك نظره عن القيم المشتركة بين رسالات الوحي والحضارات، بل اتجه جزء لايستهان به من الإعلام الغربي والدراسات السياسية والثقافية إلى تشويه المبادئ المثلى للإسلام، إن لم يتجاوز ذلك إلى محاولة التحكم في عقيدة المسلمين، أو الاستهانة بها، وسلك بعض الاستراتيجيين السياسيين مسلكًا يدعو إلى صدام الحضارات وإيقاد الحرب بين الثقافات التي لا تؤدي إلا إلى الكوارث والى الرغبة في الانتقام، مما جعل الشباب في العالم الاسلامي يشعر أنه مهدد منبوذ.

إن المعايير المادية وحدها لا تكفي لحلّ أزمات المجتمع الدولي، بل إن الأساس في تجمّع البشر في علاقات سليمة هو "منظومة القيم" التي تشترك في الإيمان بها. وإذا كانت المعايير المادية قد تراجعت في بلداننا الإسلامية، واختل التوازن في الأوضاع المعيشية، وضعفت التنمية الاجتماعية، وانعدم ترسخ أسس الشرعية والاستقرار السياسي في كثير من بلاد الإسلام مما يتطلب جهوداً عظمى لإعادة التوازن الاقتصادي فيه والى تقوية التنمية، وترسيخ الشرعية، فإن لنا في العالم الاسلامي ما هو أكبر أهمية وحيوية، ألا وهو منظومة القيم الإسلامية، ورسالة الإسلام التي جاءت للعالمين جميعًا.

ولكن المسلمين قصّروا في نقل هذه القيم الروحية إلى قيم اجتماعية في واقع الناس، فغاية الإسلام ليست الانغلاق في منظومة غير منفتحة على الآخرين في هذا العالم، لأن اختلاف الشعوب في الألسن، والألوان، والثقافات، الغاية منه التعارف والانفتاح على هذاالاختلاف الحضاري.

والإسلام بقِيَمه قادر على أن يقدّم رؤية تشارك هذه الرؤية التي تجري صياغتها للعالم اليوم، الأمر الذي تدعو إليه المنظمات الدولية كاليونسكو التي تدعو إلى "ثقافة السلام" و"ثقافة التسامح" وقبول الآخر. ولكن هل قدّم المسلمون مفهوم الإسلام لهذه الرؤى بوضوح، وحضور، وفعالية؟

وفي مجال العلاقات بين الإسلام والغرب، يجب أن تُصاغ الرؤية الإسلامية صياغة تُقنع الآخر، وتجعله في اطمئنان، وتزيح عنه كل توجّس وريبة، وبذلك تتأسس استراتيجية قائمة على مبدأ التعارف والانفتاح، وهذا سبيل أيضا للتجديد الحضاري، ومشاركة الإسلام في الحضارة العالمية الآن وفي المستقبل، ولترشيد زحف العولمة في بعدها التقاني على الأقل، لأننا إذا صرفنا النظر عن العولمة فإنها تؤدي إلى فرض نمط واحد من الثقافة، ومحو ثقافة الآخرين وهويتهم، بطغيان نموذج حضاري منفرد، ولكن هل يمكن الوصول إلى نموذج ثقافي عالمي يجمع السمات المشتركة بين

الحضارات؟ يبدو أن الاتجاه يصبّ في هذه الصيرورة إلى العالمية، كما تشهد لذلك عدة شواهد.

إن مفهوم التعارف يقوم على التفاعل كما تشير إلى ذلك الصيغة اللغوية العربية، وذلك بإقامة الشراكة المعرفية بين الأنا والآخر كما يقال، والإنسان عدوّ ما جهل، والمعرفة تزيل هذه العداوة، ويزداد الإنسان معرفة بنفسه إذا عرف الآخر، ولأن الثقافات ينساب بعضها في بعض بلا فرض ولا عنف، ويشقّ ذلك كله طرقًا غير مرئية، أما إذا استعمل العنف فإن ذلك يؤدّي إلى ردّ فعل مضاد والى الانغلاق.

ونرى العالم اليوم يتقدم نحو تنمية اقتصادية ورخاء مادي وديمقراطية سياسية وعدالة اجتماعية في العالم الآسيوي.. في الصين، والهند، واليابان، كأن بداية دورة حضارية جديدة لاحت في الأفق.

ولعل دورة الحضارة الغربية أخذت في اتجاه الأفول بعد إشراقها، وهذا أدّى ببعض الاستراتيجيين السياسيين إلى اتخاذ نظرة صدامية تشاؤمية إلى المستقبل، فأوصوا بإيقاد نار الحرب والشقاق. وهذه العولمة الزاحفة ليست شرًا كلها، ولعل فيها فرصًا لإمكانية امتلاك التقنية، ولها الوزن الكبير اليوم في المجال الدولي.

يرى مالك بن نبي أنه قد سيطرت على الحياة الدولية، مع الأسف، إرادة القوة، وكأنه قانون لسلوك النفسية الغربية، وهذا ما يسجّل التأخّر الخلقي لإنسان الغرب إزاء تقدمه المادي، وذلك غايته بسط نفوذ إمبراطورية جديدة يردّ كل شيء فيها إلى معيار القوة، وانتهاج سياسة الأخذ بالثأر. وبرهنت الأحداث الدولية الحالية لأصحاب الإمبراطورية ومنطق القوة على عجزهم الأخلاقي في أن يحتلّوا مكان القيادة في العالم، بسبب هذا المنطق الوحيد، منطق القوة.

فعلاج المشاكل الإنسانية لا يكون بمنطق القوة الذي يؤدي إلى الدمار، وإنما يكون بما يسميه مالك بن نبي منطق البقاء الذي يمنع وقوع الكوارث.

إن فرص السلام لا تتوفر مع المميزات الضخمة للحرب، التي ليس من شأنها إلا زيادة فرص الحرب، ولا تخفّ الأزمة مع تزايد هذه الميزات التي توجّه موارد البلاد إلى استثمار غير صحيح وغير مُجدٍ.

ولذلك يقترح إيجاد محور آخر غير محور القوة ومنطقها، يكون ذا أساس أخلاقي، ومحور للسلام، وعدم العنف، يكون منطقه منطق أمن وسلام على المعمورة، وملجأ للإنسانية في حالة طوفان ذري، ترسو بعيدًا عنه سفينة نوح الجديدة.

إن محور القوة ظلّ تحت وصاية الكبار في إدارة مصالحهم

الخاصة لضمان امتيازاتهم، لا لضمان المصالح الحيوية للإنسانية بحيث يؤدي إلى تحكيم دولي يرضي الناس، ليجد التقدم الأخلاقي صوته مسموعًا ومؤثرًا في صورة دستور أخلاقي دولي، لا يسمح ببيع مبدأ بكمية من القمح، أو بشحنة من الأسلحة، وبحيث ينحو العالم نحو تكامل ذي مستويين: يرفع في أحدهما الإنسان الذي يعاني من التخلّف إلى مستوى الحضارة، ويرفع في ثانيهما الرجل المتحضّر إلى مستوى الإنسانية الأخلاقي، وبهذا ينحو العالم نحو التكامل، ويؤدي إلى إيجاد نموذج عالمي يحقق وحدة التنوع الإنساني التعارفي الذي دعا إليه القرآن الكريم.

لكي تأخذ الدولة مكانة الصدارة في العالم، لابد أن تكون لها سلطة أخلاقية ومبدأ إنساني، وهو اليوم مفقود، ولا وجود له في هذا الاستعمال للقوة، وللتقنية المدمّرة، ولا يمكن أن يؤدّي النجاح المادي الميكانيكي إلى فضائل أخلاقية ولا إلى تحقيق قيمة الديمقراطية في مجال حرية الإنسان.

إننا نلاحظ أن العالم الغربي، فيما يرى مالك بن نبي، لا يحمل فضائله خارج عالمه، فهو لا يكون إنسانيًا خارج حدوده بقدر ما يكون أوروبيًا أو أمريكانيًا، أي أن صلته بغيره صلة اقتصاد أو إستراتيجية لا غير.

فغيرهم وحشي غير متحضّر لا يستحقّ الحياة إلا إذا كان مواليًا لهم، أو تابعًا ذليلاً، وهو الأمر الذي يحمل الناس على أن

يتخذوا اتجاهًا متحديًا عنيفًا، ردًا للفعل، وإن اتخذ صورة عمياء في أحيان كثيرة.

وضعية العالم الاسلامي اليوم تشكو من فقر في عالم الأفكار والمناهج، والتخطيط، والتقنية، ويعاني فشلاً في التنمية رغم الجهود التي لا تنكر، والإمكانات الكبيرة التي بُددت، دون نجاح واضح في الإقلاع الاقتصادي، والاجتماعي، بالإضافة إلى الانقسام والاهتمام بالمشكلات المحلية الجزئية القريبة المدى في عالم مخطط سريع الصيرورة بعامل التقنية وانفجار المعلومات.

إن غيرنا يراقب وضعنا ويهيئ لنا قشور الموز التي يتوقع منّا أن ننزلق عليها، وننحرف عن الطريق، فيما يقول مالك بن نبي.

يتعرض المسلم اليوم للضغوط الخارجية التي تتزايد يوما بعد يوم، وهو ما يراد بالعولمة، أي الاقتصاد العالمي الذي لا يكون مكاننا فيه سوى مكان المستهلك، وفقدان السيادة، ليكون القرار النهائي اقتصاديًا وسياسيًا لغيرنا أيضًا. فهذه العولمة التي قررتها الدول السبع أو الثماني ليس من بينها مكانة لأي دولة إسلامية.

كي يؤدي المسلم "دوره" لابد أن يثبت حضوره، وأن تكون له أفكاره المستقلة، وأن يحتفظ بحريته في القول، وفي الفعل، وأن يكون مؤهّلا لأن يشارك مشاركة حقيقية في قاعدة صلبة.

إنّ الجسوم تخفّ بالأرواح

سمعت سيدنا الأستاذ ينشد يومًا بإعجاب كبير وتأثّر بالغ هذين البيتين:

ثَقُلتْ زُجاجاتٌ أتَينَكَ فُرّغًا   حتى إذا مُلئت بطيبِ الراح
خَفّت وكادَت أن تطيرَ بما حَوَتْ   إنّ الجسومَ تَخفّ بالأرواح

سألته عن الشاعر فلم يتذكره، لكنّ الذي استوقفني هو تفاعله الشعوري المتوهّج مع الأبيات.. كيف يكون لفقيه كبير في العقد السابع من عمره يحمل مسؤوليات كبيرة تنوء بالجبال أن تكون له مثل هذه القدرة على الدخول في التجربة الشعورية العاطفية للشعر؟!

ثم إنّ جودة البيتين حفّزتني لمعرفة الشاعر، وكان عطاء الحافزين مقال أختصره فيما يلي:

❖ التفاعل مع الشعر الجيّد، ودخول التجربة الشعورية للشاعر يحتاج إلى يقظة في الشعور وإلى عاطفة إنسانية متوهّجة.

❖ يقظة الشعور وتوهّج العاطفة لا يرتبط بالسنّ فقد تجد شيخًا يتميز بهذه الصفة وقد تجد شابًا متبلّد الإحساس.

❖ الفقهاء الكبار يفوقون غيرهم في هذه اليقظة وفي هذا التوهّج، وهم إما شعراء أو متذوقون للشعر في أسمى درجات التذوّق.

❖ أصحاب المسؤوليات الكبرى أحوج من غيرهم إلى هذه الحالة الشعورية، لأنها الحالة التي تجعل الكائن البشري إنسانًا يتعامل مع الأمور بإنسانية وبقلب ينبض بالعاطفة. وبدون ذلك يتحوّل

الموجود البشري إلى جلمود صخر خال من الرحمة، وإذا تولّى في الأرض سعى ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل.

❖ إنّ الحركة الثقافية التطويرية المنتجة للحضارة وراءها دائمًا يقظة الشعور. من هنا كان للإحيائيين دائمًا اهتمام بهذا الإيقاظ عن طريق الأدب أو الفنّ. ولما كان الدين الحقّ يستهدف «الإحياء»: ﴿لما يحييكم﴾، لذلك كانت النصوص الدينية في ذروة النصوص الأدبيّة. من هنا لا يمكن لمن يتعامل مع هذه النصوص وعلى رأسهم الفقهاء إلاّ أن يكونوا على درجة عالية من الذوق الأدبي.

❖ ❖ ❖

بعد هذا وصل بحثي عن قائل البيتين إلى أنه الأديب الأندلسي أبو علي إدريس بن اليماني.

❖ ولد في جزيرة يابسة أصغر الجزر الشرقية (شرق الأندلس)، وتوفي سنة ٤٧٠ هجرية.

❖ مدح آل حمّود وهم الذين أسسوا دولة شيعية في الأندلس.

❖ هو شاعر جليل ومكثر ومطيل نجد في شعره الوجداني عذوبة، وفي مدائحه تقليداً للمشارقة.

❖ لم يكن بعد ابن درّاج الأندلسي من يجري مجراه في متانة التركيب وعلوّ النفس.

❖ له في «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسّام الشنتريني ترجمة وافية، نقل فيها بعض أشعاره، ومنها هذان البيتان، وقصائد ومقطعات نذكر منها وصفه الرائع لحمامة:

وُرقًا مطوّقةُ السوالفِ سُندسًا ... لم يحكِ صنعتَها حياكةُ حاكِ
تشدو على خُضرِ الغصون بألسنٍ ... صَبَغت ملاثمها بلا مسواك
وكأن أرجلها القواني أُلبست ... نعلاً من المرجان دون شراكِ
وكأنها كُحِلت بنارِ جوانحي ... فترى لأعينها لهيبَ حشاكِ*

❖ يروى أن المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية ٤٣٤ - ٤٦١ (وربّما كان أصله إيرانيًا) سأل شاعرنا أن يمدحه بقصيدة يعارض القصيدة السينية التي مدح بها ابن حمود فقال له: «أشعاري مشهورة وبنات صدري كريمة، فمن أرادَ أن ينكِحَ بِكْرَها فقد عَرَف مَهرَها».

❖ ❖ ❖

وبعد فإنّ في البيتين من لطافة المعنى وخفّة الموسيقى ما يُشعر بأنّ الإنسان يطير ويحلّق حين يردّدهما. وفيهما إشارة إلى ثقل الإنسان وانشداده بالأرض وبالمال والمتاع حين يكون خاليًا من الروح.. أي حين يتحول إلى «طين» خالٍ من «نفخة روح ربّ العالمين».

لكنه يحلّق ويطير ويسمو ويتكامل حين يتحرر مما يقيّد حركته وانطلاقه من الإصر والأغلال وفضول العيش.

والراح في البيت هي الخمر، وهي في مثل هذا النوع من الشعر رمز لحالة النشوة التي يخرج فيها الإنسان من ذاتيته وأنانيته. لأن الأنانية هي الصنم الأكبر الذي يعيق الإنسان عن الحركة نحو الكامل المطلق سبحانه.

---

* - انظر: الذخيرة ٢٥١/٣ - ٢٧٠، طبعة دار الغرب الاسلامي، تحقيق الدكتور إحسان عباس. والسوالف جمع السالف: صفحة العنق عند معلّق القُرط.

كتاب في التقريب
قصة الطوائف

• أهم مافي الكتاب التفريق بين المذهبية والطائفية • الطائفية ظاهرة غير حضارية تقوم على أساس استثارة روح القبلية والتعصب • الجهاز الحاكم سعى على مرّ التاريخ إلى تحويل المذهبية إلى طائفية • ميّز المؤلف بين من أسهم في المسيرة الحضارية وبين مَن صَدّها • الدعوة إلى دمج المذاهب تتجاهل حقيقة التمذهب كضرورة من ضرورات المعاصرة • انزلقت دعوات الحداثة إلى محو الذاكرة التاريخية • الاكثر طائفية هو الأكثر جهلاً بالمحتوى الفكري لطائفته.

كثيرة هي الكتب التي تناولت الطوائف المسلمة في التاريخ والواقع، تحت عناوين الملل والنحل والفِرق والمذاهب، أو تحت عناوين فقهية أو كلامية أو تاريخية. لكن كتاب "قصة الطوائف "للباحث العراقي الفقيد الدكتور فاضل الأنصاري، يختلف عنها جميعاً.

أهم ما في هذا الكتاب أنه يقف أمام حقيقة هامة من حقائق تاريخنا الإسلامي هي التفريق بين "المذهبية" و"الطائفية". فيرى أن المذهبية «واحدة من مفردات النهوض ومقوماته، فيتسق تباين المناهج وتنوع الاجتهادات، اتساقاً لازماً لحركة المعاصرة والتغيير

وهي الظاهرة التي أتاحتها مرونة الإسلام واحتمالية النص فيه. وبهذا تعددت المذاهب في مدارس فقهية فكرية، وظهر الأئمة الكبار، ونشطت المجادلات والمناظرات بغير عصبية أو حدية. وإنْ تطرّف القلّة فإن البيئة من ذلك النوع تستكمل هويتها عادةً بالمتطرفين، ولا ينشز فيها الاستثناء» .(ص٣)

هذه النظرية لتعدد المذاهب تقوم على أساس فهم حقيقي لطبيعة التطور الحضاري داخل المدرسة الفكرية الواحدة.

أما "الطائفية" فهي ظاهرة غير حضارية، تقوم على أساس استثارة روح "القبلية" و"التعصب" بين الشعوب، ووراءها عادة مصالح تقتضي هذه الإثارة، ويرى الكاتب أن مصالح السلطة والحكم في التاريخ كانت أهم عوامل خلق الروح الطائفية في العالم الإسلامي، وأن الدولة سعت «لحرف الأفكار والعقائد التي باتت تؤثر بقوة في نزعات العامة وعقولهم، وبهذا جهدت المؤسسات الحاكمة لتحويل التمذهب عن مساراته الاجتهادية، وزج المذاهب في العصبيات والتطوؤف. فتفاقَمَ المخاض وأنهك المجتمع بالتناقضات والمزق، وتدنى زخمه التعبوي التغييري وتراجعت حصاناته، ليجد المتربصون من وراء الحدود فرصتهم لولوج المنطقة، سواء سلمًا في البداية عبر تحالفات السلطة التي اختارت الاستعانة على شعبها بالغرباء، أو حربًا في اجتياحات متوالية، عادت بالمجتمع إلى غياهب الانحطاط مجدداً في عصر مديد الزمن والرجع» .(ص٣)

وانطلاقاً من هذا التفريق الموضوعي الهام بين المذهب ـ الفكرة، والطائفة ـ العصبية طاف الدكتور الأنصاري في التاريخ السياسي والفكري والفقهي للعالم الإسلامي ابتداءً من صدر الإسلام ومرورًا بالعصر الأموي والعباسي وعصور الدول والإمارات المتعاقبة والمتوازية حتى العصر الحديث، في عرض مقتضب موسوعي حالفه شيء كبير من التوفيق فيه، رغم بعض الملاحظات الفقهية التي اعتَذَرَ عنها سلفاً.

والملاحظ في هذا العرض الواسع أن المؤلف نهج أسلوباً حيادياً موضوعيًا لم يتحزب فيه لفرقة ولم يتعصب لمذهب، أي لم يقع فيما يقع فيه عادة كثير من المتحدثين عن المذاهب، ولعل السبب الهام في نجاح العرض هو أنه وضع التيارات وأصحابها ودعاتها في خاناتهم الحقيقية وميّز بين ما أسهم في إغناء الفكر والتراث والحضارة، وبين ما صدّ المسيرة الحضارية وأوقعها في مطبّات الطائفية والتعصب، آخذاً بنظر الاعتبار العوامل الحضارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظهور هذه التيارات.

والنقطة الهامة في الكتاب أيضًا هي شعور المؤلف بالمسؤولية تجاه الواقع الراهن. لم يكن تأليفه من النمط الذي يحاول فيه المؤلف فقط عرض ما تراكم في ذهنه أو ما جمعه في أوراقه من معلومات، ولم يكن من النمط الذي يقدّم مادة علميّة لا هدف لها سوى الارتقاء العلمي الجامعي، بل كان المؤلف عالـمًا هادفًا، وباحثًا ملتزمًا، لا يحيد عن الموضوعية، ولا يتخلّى عن المسؤولية.

وهـذا هـو البحـث العلمـي المطلـوب فـي مجتمعاتنـا، بـل فـي كـل المجتمعات الطموحة إلى حياة أفضل.

المؤلف بعد عرضة الواسع يطرح على نفسه السؤال تجاه الوضع الطائفي الموروث، ويذكر بعض الحلول المقدمة ويرفضها منها:

دعوة "الدمج بين المذاهب" و"إسلام بلا مذاهب" أو "الدعوة إلى مذهب واحد".

ويرى المؤلف أنها «أطروحات مبتسرة لا تقوم على أسس واقعية، ولا تقرّ بأهمية التعددية العقائدية أو أهمية الرأي الآخر لتحسين الأداء والتحرك إلى الصواب.

أي إن مثل تلك الآراء تتجاهل حقيقة مشروعية التمذهب أصلاً، كضرورة من ضرورات المعاصرة وليس كبحها أو إعاقتها، وأنّ تدافعَ الاجتهادات المذهبية وتحاورَها يمكن أن يساهم في تسريع وتائر التقدم».(ص ٥١٦)

ومنها : الدعوة إلى إلغاء الماضي من الذاكرة، والابتعاد عن الجذور بحجّة الحداثة، وبالتالي الوقوع في شراك التغرّب، فقد «انزلقت دعوات الحداثة إلى أطروحات فلكلورية لتقليد الغرب واستنساخ تجاربه كمرجعية معيارية وحيدة، تنامت معها دعوات استسلام وإلغاء لكينونة الوطنية والقومية، وبالغت في الاشتباك مع الماضي في هروب متعمد، تجاهلت معه خصوصية المجتمع وهويته واستعداداته، وأرادت محو الذاكرة التاريخية في تذرعها للقبول بالتغريب، فظلت فعاليتها محكومة باللاجدوى».(ص٥١١)

والحل الذي يقدمه الكاتب باختصار:

١ - عدم تبسيط المسألة الطائفية والتقليل من شأنها المخرب، وعدم النزوع لتجاهلها كلياً.. لأن النزوع لإسدال الستار على الماضي لا يعدو أن يكون إغفالاً لسقم ظاهرة تظل معه دعوات الرأب غير واقعية تحمل عناصر توقفها وإخفاقها.(ص٥١٥)

٢ - هذا العمل يرتبط بإعادة التنقيب في التاريخ، وإزالة ذلك الغموض المتعمّد عن كيفية التشكل الفئوي الطائفي وأدلجته الفضفاضة المهلهلة بأطروحات إسلامية. لأن الأكثر طائفية هو الأكثر جهلاً بمفردات طائفته أو بتشخيصاتها الفكرية والفقهية وبكيفية تشكلها وتطورها.

٣ ـ التعايش المنفتح بين المذاهب، وإضاءة مشتركاتها وأواصرها، وبإقرار مُقنِع بأن الإسلام ليس حِكراً على أحد، وأن حرية التفكير والرأي متاحة للجميع، وأن الاجتهاد ضروري لازم لمن يقدر عليه أو لمن يمتلك شروطه بمعقولية لا تجعل في الاشتراط استحالة أو حجة تعسير، وأن الخطاب الإسلامي يمكن أن يكون متعددًا، وأن التعددية يجب أن لا تعني مساسها بالفرائض أو الضرورات، وأن السياق التاريخي والصالح العام لا يقتضي التعامل بالمطلق، فتغلق المستجدات التاريخية آفاق الأصل، أو أن تحمَّل النصوص أكثر مما تحتمل دون الجوهر فينسب إليها البت في كل الأمور تسويفاً للتوقف عن مسايرة الزمن. أي أن لا نبقى خارج عصرنا بمسوغات من إسلام تاريخي أو سياسي لمراحل معنية

أُسيء تقليدها وأضر بالإسلام» .(ص٥١٧)

٤ ـ يرى الكاتب أن مسؤولية تجاوز الحالة الطائفية يجب أن ينهض بها رجال الدين والباحثون المتخصصون لأنهم «أقدر على حمل المسؤولية من أولئك التغريبيين الذين يريدون إلغاء الدين من حياتنا من خلال الحرب على مستحدثاته التي أملتها الظروف التاريخية الخاصة. فالحاجة ماسة إلى ذلك النمط من الأئمة المجددين الذين يمتلكون الجرأة للتحرر من ربقة التمسك بما هو مصطنع، والقادرين على الإقناع بأن التعصب لمذهب وليس للدين كله مخالفة شرعية.. وبذلك يعيدون الاعتبار إلى "إسلام مذاهب" أُسيء فهمه، فيعود للجوهر بريقه ويرتقي الحاضر بمساهماتهم» .(ص٥١٧)

٥ ـ مع أهمية الجهود الفردية التي تؤسس للانتقال بالخصومة إلى مدارج التقويم، لابد من حثّ الجهود المؤسساتية الجماعية الممكنة بما يتناسب والضرورات التي يقتضيها الواقع الراهن، ويستلزمها استعادة الإسلام لحيويته الدافعة التي تساعد في عبور عصر التخلّف بأواصره وحيثياته.(ص٥١٨)

هذه باختصار أطروحة المرحوم الدكتور فاضل الأنصاري في معالجة مسألة على غاية من الأهمية في حياتنا الثقافية والدينية وفي مشروعنا النهضوي القائم على أساس فهم التاريخ والواقع بموضوعية، والتطلع إلى المستقبل بمنهجية علمية أصيلة ومعاصرة.

المثقفون وهاجس النهضة

زكي الميلاد *

• التحولات تترافق عادة مع الحديث عن مشروع النهضة • الالفية الثالثة طحت من جديد هواجس النهضة وقلق المستقبل • ما تزل النهضة هاجسا ومطلبا ورهانا، منهجية الجدل النظري لا تستطيع أن تعمم وعي النهضة في الأمة

لا يكف المثقفون في العالم العربي على اختلاف منابعهم الفكرية، في الحديث عن النهضة، قضاياها وأسئلتها، مسائلها وإشكالياتها، وعن المشروع النهضوي، مصيره ومآلاته، إخفاقاته ورهاناته. وهو حديث تتعدد فيه التصورات والتساؤلات، وتختلف فيه الأمزجة والرغبات، وتتباين فيه المرجعيات والخطابات.

وكلما حصلت تحولات وتغيرات عميقة ومتلاحقة، يتجدد معها الحديث عن النهضة والمشروع النهضوي بكيفيات مختلفة، وغالبًا ما تكون هذه الكيفيات متأثرة بطبيعة واتجاهات تلك التحولات والتغيرات، وحسب المنطق التفسيري في النظر لتلك التحولات والتغيرات.

فمع سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩م، وتفكك الاتحاد

---

* - باحث من المملكة العربية السعودية، رئيس تحرير مجلة "الكلمة".

السوفياتي، وانهيار المنظومة الشرقية، وتصدع الماركسية كعقيدة وأيديولوجيا، هذه الأحداث والتحولات المتعاظمة والمتسارعة، والتي أثارت دهشة العالم برمته، وما زال العالم يتذكرها وباندهاش أيضًا، هذه الأحداث حرضت على ضرورة مراجعة المشروع النهضوي العربي وبطريقة نقدية، وإعادة النظر في مكوناته ومرجعياته.

وقبل أن ينتهي القرن العشرون، وفي الأعوام الأخيرة منه، حصلت تطورات مذهلة للغاية في مجالات الإعلام والاتصال والمعلوماتية، وظهر ما عرف بانفجار المعرفة، وثورة المعلومات، وانبعاث العولمة. هذه التطورات غيّرت من صورة العالم، وقلبت أنظمة المفاهيم حول العالم، وتشكّلت معها نظرات عالمية جديدة، وأصبحت الأفكار والمواقف والاتجاهات توصف بالعالمية، وأصبح العالم حاضرًا ومؤثرًا في الأحداث والسياسات والتغيرات، وفي كل زاوية ومكان، مهما صغرت أو تباعدت في جغرافيات العالم المترامي الأطراف.

وقد ظلّت هذه التطورات حاضرة بشدة في أذهان المثقفين، وهم أكثر من أسرف في الحديث عنها، وإثارة الاندهاش حولها، والتعظيم المتواصل لها. كما دفعت بالحديث نحو تجديد خطاب النهضة، وإعادة صياغة المشروع النهضوي، لكي يكون مواكبًا ومستوعبًا لتلك التطورات ومتفاعلاً معها.

ومع دخول الألفية الثالثة التي استقبلها العالم بزخم كبير وبوعود وآمال جديدة، وجد المثقفون أنفسهم أمام تجربة قرن، الحصاد فيها كان مرًا، وخاتمتها كانت بائسة، وبقي العالم العربي في انحداره وتراجعه، ولم يستطع أن يغيّر من مكانته في هذا العصر، ومن مركزه في هذا العالم، فطرحت من جديد أسئلة النهضة، وهواجس المستقبل، وقلق المصير.

وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي هزت العالم وأرعشته، وأعادت العالم العربي إلى دائرة اهتمام العالم، وحاصرته بأسئلة مؤداها أن هذه المنطقة ينبغي أن تتغير.

في ظل الوضعيات والسياقات، طرحت العديد من الأفكار والدعوات، التي تختلف اتجاهات النظر إليها، من حيث العمق وبعد النظر ومستوى التحليل. فهناك من دَعَوا إلى نهضة عربية ثانية، وهي دعوة الدكتور إسماعيل صبري عبدالله، وحسب رأيه فإن بلادنا شهدت نهضتها الأولى التي استمرت من أوساط القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين، وهي نهضة قام بها الناس وليس الحكومات، وبعد أن حصلنا على استقلالنا السياسي، انشغلنا بأمور أخرى بعيدة عن النهضة.

وهناك من يدعو إلى الانتقال من مشروع النهضة إلى نهضة المشروع، وهي دعوة عبد الإله بلقزيز، الذي يرى أن الحقيقة

الوحيدة التي خرج بها العرب من تجربة قرن ونصف، هي أنهم لم يبرحوا بعد مطلبًا تاريخيًا طرحه النهضويون الأوائل، ولم يتحقق حتى اليوم، وهو الإصلاح، ولقد كان لهذا المطلب، وللفكرة التي صاغتها الفكرة الإصلاحية، تاريخ يستحق أن يُقرأ من جديد.

وهناك من يدعو إلى مراجعة نقدية للمشروع النهضوي العربي، وهي دعوة الدكتور محمد عابد الجابري، الذي يتصور أن العرب اليوم يمرون بمرحلة انتقالية دقيقة، تجعل مراجعة مشروعهم النهضوي مراجعة نقدية أمرًا مبررًا بل ضروريًا، وذلك على خلفية، كما يرى الجابري، نهاية الحرب الباردة، وانهيار ما كان يسمى بالكتلة الشيوعية، وتزامنًا مع انحسار المد التحرري في العالم الثالث، وضمور الفكرة القومية.

وهناك من يدعو إلى النقد الحضاري في مواجهة أزماتنا وأوضاعنا، وهي دعوة الدكتور هشام شرابي، التي تحدث عنها في كتابه «النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين» الصادر سنة ١٩٩٠م، حيث يرى أنه إذا أردنا لمجتمعنا العربي أن يتجاوز أزمته المتفاقمة، ويسترجع قواه، ويدخل ثانية في مجرى التاريخ، فلا بد له من القيام بعملية نقد حضاري، يمكنه من خلق وعي ذاتي مستقل، واستعادة العقلانية الهادفة.

وبعد عشر سنوات أعاد شرابي طباعة هذا الكتاب، لكي يكون مواكبًا في مهمته الفكرية، ولا يتحدد بنهاية القرن العشرين،

كإطار زمني سابق، تتقولب فيه أفكار الكتاب. وفي مقدمة الطبعة الجديدة الصادرة سنة ٢٠٠١م، تساءل شرابي: هل يمكن لمشروع النهضة الذي لم يتحقق في القرن الماضي أن يتحقق في القرن الواحد والعشرين؟ وإنْ في أشكال ومضامين مختلفة؟ أمام هذا السؤال ـ كما يعقب شرابي ـ تواجهنا علامة استفهام مربكة، تجسد في حدّ ذاتها بدايات الجواب، وذلك أن السبيل إلى كسر الحلقة المفرغة يبدأ من وعي النهضة كإمكان، ومن إنجاز شرطها الأول المتمثل بقيام النقد الحضاري، بما هو نقد للواقع المعاش.

هذه الأفكار والدعوات وغيرها، بغضّ النظر عن موازين النقد والتقييم لها، تكشف عن أن النهضة ما زالت هاجسًا ومطلبًا ورهانًا، لا ينبغي التراجع أو التخلي عنه، أو إسقاطه والارتداد عليه، ولا حتى التوقف عن الاشتغال والنظر فيه. وأن هناك حاجة فعلية إلى رفع وتيرة الوعي بقضية النهضة، وتعميم هذا الوعي في الأمة، بكل فئاتها وشرائحها، تنوعاتها وتعددياتها، لأن النهة ما زالت هاجس المثقف وليست هاجس الأمة. كما لا ينبغي التعامل مع هذه القضية بمنطق الجدل النظري الذي يندفع إليه المثقفون بسهولة، وهم المعروفون بالتفنن بطرائق الجدل الموغل في الإشكاليات والمسائل الإشكالية، فهذه المنهجية لا تستطيع أن تعمم وعي النهضة في الأمة. والتحول الذي ننتظره هو أن تتحول النهضة من كونها مطلب المثقف إلى مطلب الأمة.

بمناسبة إعلان دمشق عاصمة للثقافة العربيّة

دمشق في الشعر الفارسي

• دمشق اقترنت في الأدب الفارسي بالعشق • وهي لدى الشعراء الإيرانيين معيارٌ لفهم خلوص العاشق • العشق هو خروج من الذاتية والأنانية • في دمشق مثوى العرفاء الكبار وهم العاشقون الحقيقيون • جلال الدين الرومي يرى في دمشق كنز دفين • في الانجليزية أيضا الطريق إلى دمشق يعني رؤية الأمور على حقيقتها.

الحديث كما هو واضح من العنوان حديث أدب.. حديث قلب وشعور .. وحديث القلب والشعور عن دمشق في الأدب الفارسي حديث ذو شجون.

من تلك الشجون أنه يعيد إلى الذاكرة وحدتنا الحضارية التي كنّا نعيشها في القرون الخوالي، ولولا هذه الوحدة لما كان لدمشق هذه المكانة في الأدب الفارسي، ولما كنت ترى أبا الفرج الأموي صاحب الأغاني ينتسب إلى أصفهان، وابن حزم الفارسي ينتسب إلى الأندلس، وشعراء إيرانيين أمثال أبي نواس وبشار ينتسبون إلى بغداد، ونحويين من أمثال سيبويه وأبي علي الفارسي ينتسبون إلى البصرة والكوفة.

ومن تلك الشجون أن الحديث عن دمشق في الأدب الفارسي يأتي غالباً ضمن سياق الحديث عن الشام بأجمعه، ويمكنكم أن

تتصوروا لو أن فلسطين العزيزة قد تعرضت أيام وحدتنا الحضارية لهذا الإرهاب الصهيوني البشع الذي تتعرض له اليوم، ما الذي كان يحدث؟!

دمشق العشق

أعود إلى حديث دمشق في الشعر الفارسي وأقول إن دمشق اقترنت في الشعر الفارسي بالعشق.

والحروف المشتركة بين دمشق وعشق هي «شق» وغير المشتركة هي «دمع». وحتى لا أتلاعب بالألفاظ أكتفي بالقول أن بين «شق» التي منها المشقة و«الدمع» الذي يلازم عادة المشقة، إذ يقال: «طريق شاقّ مفروش بالدماء والدموع»، و«العشق» الذي هو هذا الطريق الذي لا يسلكه إلا ذو حظ عظيم، ، و«دمشق» التي لا يستطيع أن يفهمها كما يقول الأدب الفارسي إلا «العاشقون».. بين هذه الألفاظ مشتركات كثيرة.. أبتعد عن الخوض فيها، وإن كان الحديث التالي سيلقي الضوء على هذه المشتركات.

أذكر بعض الأمثلة من الأدب الفارسي بشأن اقتران دمشق بالعشق. يقول الشاعر أوحدي مراغهاي:

دمشق عشق شد اين شهر ومصر زيبايي

زحسن طلعت اين دلبران يغمايي

يصف حسناوات دخلن مدينة فيقول:

إن المدينة أصبحت من حسن طلعتهن دمشق العشق، وأصبحت مدينة الجمال.

لاحظوا الإضافة «دمشق العشق» وكأنّ دمشق هي مدينة العشق في كلام الشاعر الفارسي.

ولأنها مدينة العشق فإنها معيار لمعرفة العاشق من غير العاشق ومعيار لمعرفة عيار العاشق، كما يُعرف عيار الذهب ومقدار خلوصه.

يقول الشاعر العارف نظامي گنجوي في «مخزن الأسرار»:

آن زر رومي كه به سنگ دمشق

راست بر آيد به ترازوي عشق

يتحدث عن ذهب رومي وقد يكون إشارة إلى (حسناء رومية) يقول عنها! أن خلوص ذهبها يظهر إذا وضعت في ميزان العشق، وقيس خلوصها بمحك دمشق.

وخاقاني الشرواني، شاعر القرن السادس الهجري يذكر دمشق بما يشبه هذا المفهوم إذ يقول:

اينجا در دمشق ترازوي عاشقي است

لاف از دمشق بس كه ترازوت بي زر است

يخاطب شخصًا يدّعي أنه عاشق فيقول له:

نحن في دمشق التي هي ميزان العاشقين فكفّ عن ادعاء

(الانتساب) دمشق لأن ذهبك في الميزان قليل.

لاحظ: أن دمشق هي ميزان العشق، وأنها هي العشق لأنه ينهاه عن ادعاء دمشق، أي ينهاه عن ادعاء العشق.

معنى العشق

هذا الاقتران بين العشق ودمشق يقتضيان أن نوضح معنى العشق في الأدب الفارسي، والذي يوجبه هذا التوضيح هو الخلط في الأدب العربي بين الحبّ (أو العشق في الأدب الفارسي) وبين شهوات الجسد.

ولو عرفنا المعنى الحقيقي للعشق لاتضح لنا أنه يتعارض تمامًا مع نزعة الشهوة والجسد.

العشق بكلمة واحدة: هو خروج من الأنانية والذاتية. من هنا نفهم الفرق الشاسع بين العشق الذي هو خروج من الذاتية والانانية، والشهوة الجسدية التي هي انغماس في الذاتية والأنانية.

وجه الاقتران

وإذا كان هذا معنى العشق، فما هو وجه اقتران العشق بدمشق؟ سؤال فكرت فيه طويلاً ووصلت إلى بعض النتائج، غير أن الأمر يحتاج إلى دراسات تاريخية وجغرافية وإنسانية.

ما توصلت إليه حتى الآن هو أن هذا الاقتران قد يعود إلى:

١ - مركزية دمشق في العرفان، ووفرة من فيها من الصالحين والعرفاء الذين هم العاشقون الحقيقيون. يؤيد ذلك سيرة مولانا جلال الدين الرومي ولهفته على الالتحاق بدمشق إذ يقول:

ما عاشق وسرگشته سوادي دمشقيم

جان خسته ودلبسته سوادي دمشقيم

زان صبح سعادت كه بتابيد ازآن سوى

هر شام و سحر مست سحرهاي دمشقيم

اندر جبل صالحه كانيست ز گوهر

كاندر طلبش غرقه درياي دمشقيم

أي: نحن لدمشق عشاق وفي حبها هائمون

نفوسنا منشدّة وقلوبنا طربة لدمشق

من صُبح السعادة الذي يشرق من كل مكان

في كل مساء وسحر نحن منتشون لاسحار دمشق

تحت جبل الصالحية(قاسيون) منجم للجواهر

نحن في طلبه غارقون في بحر دمشق

وقد يشير بهذا المنجم إلى قبر العارف ابن عربي.

٢ - وقد يعود ذلك إلى جمال دمشق وبهائها، وهذا الجمال النسبي هو المنطلق نحو الجمال المطلق في رأي العرفاء. يؤيد ذلك ما يقوله سعدي:

چنان قحط سال شد اندر دمشق   كه ياران فراموش كردند عشق

نزل بدمشق قحط بحيث أن الاحباب نسوا العشق.

چنان آسمان بر زمين شد بخيل   كه لب تر نكردند زرع ونخيل

بخلت السماء على الأرض بحيث أن الزرع والنخيل أصبحت ذابلة الشفاه.

نجوشيد سرچشمهاي قديم   نماند آب جز آب چشم يتيم

العيون القديمة ما عادت تفور، ولم يبق ماء سوى ماء عين اليتيم.

في هذه الابيات يتحدث سعدي عن جفاف ضرب دمشق في عهده، فنضبت المياه وذبلت الزروع، وكان نتيجة ذلك أن الاحباب نسوا العشق. وقد تكون تلك إشارة إلى اقتران العشق بجمال الطبيعة، وهو أمر لا يصعب فهمه، فالبيئة الجميلة تشع على الانسان دائمًا بروح التحليق إلى الجمال المطلق، وتحيي في نفسه الأشواق إلى السموّ والكمال، ولا يخفى ما لدمشق وغيطانها من سحر تذكره كتب التاريخ والرحلات والمذكرات على مرّ العصور.

وبالمناسبة كنت قد أعددت هذا المقال لألقيه في المركز الثقافي العربي في المزة بدمشق إذ وقع نظري في اليوم نفسه على عمود «آفاق» في صحيفة تشرين السورية كتبته الدكتورة بثينة شعبان تحت عنوان: «على الطريق إلى دمشق»، وكان يحمل دلالة ليست ببعيدة عمّا ورد في الشعر الفارسي عن دمشق، إلا أنه من

«الانكليزيـة» لا مـن «الفارسـية» تقـول الـدكتورة بثينـة: «هنـاك مثـل بـالانگليزية يقـول «علـى الطريـق إلى دمشـق» ويعـني علـى الطريق: أن يرى الأمور على حقيقتها فحين يقال عن شخص مثلاً أنه على الطريـق إلى دمشـق فهـذا يعـني أنـه بـدأ يـرى الأمـور علـى حقيقتها وبدأ يمتلك الرؤية الصافية والصادقة».

أليس هذا بعجيب؟! دمشق مقرونة بالفارسية بالعشق. والعشق هو الطريق الوحيد للانطلاق نحو رؤية جمالية حقيقية للعالم.

وفي الانجليزيـة: الطريـق إلى دمشـق يعـني الطريـق إلى رؤيـة الأمور على حقيقتها..

في دمشق سرّ لا يعرفه إلا الدمشقيون.. إلا العاشقون.. الـذين تخلصوا مـن الرؤيـة السـرابية للكون والحياة.. وانطلقـوا في رحـاب الجمال المطلق.. ليروا الأمور على حقيقتها.

الوحدةُ الحضاريةُ لهذه الأمة جمعت بـين فـارس والعـراق والشام والجزيرة والمغرب والأندلس، فكانت العلوم والفنون والآداب تتحـدّث بلغـة واحـدة. واليـوم، وعلـى الـرغم مـن تفكـك هـذه الوحـدة سياسـيًا، فـإن الأمـة مـن طنجـة إلى جاكارتـا تحمـل همومًـا واحـدة وآمـالاً واحـدة وتواجـه تحديات مشتركة.

عروبة أمريكانيّة

• طرحت أمريكا لمحاربة الشيوعية اسلاما أمريكانيا •تدعو أمريكا اليوم إلى عروبة أمريكانية لمواجهة وحدة الأمة •لا يوجد بين بلدين متجاورين من علاقات عميقة وواسعة كالتي بين إيران والعراق • من الطبيعي أن تتجه دولة الإسلام في إيران إلى إزالة الألغام من الحدود المشتركة مع العراق، وتحويلها إلى حدود سلام ووئام وأخوّة وتعاون حضاري.

في آخر زيارة له للعراق، نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني، دعا الدول العربية أن تتواجد في هذا البلد، لمواجهة ما أسماه بالأطماع الإيرانية فيه!!

إنها شنشنة أعرفها من أخزم!!

لقد حاول الأمريكان أيام المدّ الشيوعي في العالم الإسلامي أن يوظّفوا الإسلام لمقاومة هذا المدّ.

ومن الطبيعي أنهم ركّزوا على إسلام خاص لا شأن له بحياة المسلمين وعزّتهم وكرامتهم وهويتهم، ولا دور له في تغيير حياتهم، إنه إسلام يدافع عن مصالح أمريكا لا غير..

ولذلك كتب سيد قطب آنئذ عدة مقالات تحت عنوان «إسلام أمريكاني» نشرت في كتاب «مقالات إسلامية».

في تلك المقالات عبّر الشهيد عن رأي الجماعة الإسلامية الواعية تجاه المشروع الأمريكي، مؤكدًا أن هذا الإسلام يبعث على الموت لا على الحياة، ويؤدّي إلى التمزّق لا إلى التوحّد.

واليوم يُرادُ للعروبة أيضاً أن توظَّف لخدمة المصالح الأمريكية في العراق.

ليس هذا المشروع العروبي الأمريكي بجديد على المنطقة فقد تمّ التركيز عليه بشكل خاص بعد قيام دولة الإسلام في إيران.

باسم الدفاع عن البوابة الشرقية للعرب شُنّت حرب على دولة فتية كلّ ذنبها أنها عادت إلى دائرة الحضارة الإسلامية، وتبنّت القضايا العربيّة الإسلاميّة. كانت الحرب في ظاهرها عراقية ـ ايرانية. لكنّ كل شيء يثبت أنها كانت حربًا صليبية صهيونية، وُظفت لها بعض الأنظمة العربية بضغط أمريكي، باسم العروبة ! وباسم الدفاع عن العرب وعن العراق تجاه الإرهاب الإيراني!!

ومن المضحك (وشرّ البليّة وما يضحك) أن النظام الذي شنّ على إيران حربًا باسم مكافحة الإرهاب، قد أطاحت به أمريكا أيضا باسم مكافحة الإرهاب!!

طبعًا النظام البائد في العراق كشف عن حقيقة عروبته في تعامله الإجرامي مع عرب خوزستان في إيران، ومع الشعب العربي في العراق، ومع الشعب العربي في الكويت، ومع العرب المصريين الذين جاؤوا وراء لقمة عيشهم إلى العراق و...

بعد سقوط النظام العراقي كان من الطبيعي أن تعود المياه إلى مجاريها الطبيعية بين إيران والعراق. بين البلدين مايزيد على ١٠٠٠ كليومتر من الحدود، وبينهما علاقات اجتماعية وثقافية ودينية تعود إلى ما قبل الإسلام. فقد كانت طيسفون (المدائن) عاصمة الساسانيين، ثم بعد الإسلام أصبح العرب والإيرانيون

بنعمة الله إخوانًا، وتضافرت جهودهما لإنماء دوحة الحضارة الإسلامية، وشهدت الكوفة والبصرة، ومن بعدهما بغداد أعظم تعاون عربي إيراني في جميع مجالات المعرفة، وتواصل هذا التواصل بين الشعبين على الرغم من الظروف السياسية المرّة التي مرّت على البلدين منذ العصر الأموي، ومرورًا بالعصور العباسية وانتهاء بالنزاع الصفوي العثماني.

كثير من الأُسر نصفها في العراق ونصفها في إيران. وكثير من علماء إيران المعاصرين درسوا في حوزة النجف. وأكبر رغبة في السياحة الدينية لدى الإيرانيين، بعد حج بيت الله، زيارة مراقد أهل بيت رسول الله في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء. قائمة الارتباط بين إيران والعراق تاريخيًا واجتماعيًا وثقافيًا وعلميًا ودينيًا و... طويلة جدًا.

إذن من الطبيعي أن يكون بين إيران والعراق بعد سقوط النظام البائد أكثر من علاقة وأكثر من ارتباط، وأن يسعى الجانبان إلى تحويل الحدود بينها من حدود حرب ودماء ودمار وألغام إلى حدود أخوّة تستمدّ جذورها من الهمّ الحضاري المشترك ومن أعماق التاريخ.

لكنّ هذا لا يروق للصهاينة والصليبيين.. فراحوا يتحدثون عمّا يسمّونه التوغّل الإيراني في العراق. ويطلقون على الإيرانيين اسم «الصفويين» بعدما كان النظام البائد يطلق عليهم اسم «الفرس المجوس»!!

وباسم العروبة تارة وباسم الطائفية تارة أُخرى حاولت «الآنسة»

الأمريكية تعبئة بعض الحكومات العربية لقطع ما أمر الله به أن يُوصل بين الإخوة. ولم تكن هذه التعبئة موجهة لإيران فحسب، بل وُجهت أيضا لكلّ رموز المقاومة والكرامة والعزّة في هذه الأمة.. وُجهت لحزب الله ولحماس أيضًا. ومع أن هذه الفصائل عربيّة لكنّها وُضعت في سلّة إيران، من أجل خلق تعبئة قومية طائفية ضدّها أيضًا.

وتأتي تصريحات ديك تشيني المعبّر عن التوجّه الصهيوني الصليبي في سياق جهود أمريكية سابقة اندفع فيها مع الأسف المأجورون والمخدوعون والغافلون والأنانيون.

إنها خطّة تمزيق جديدة في عالمنا الاسلامي. ومن منطلق «ثقافة التقريب» ندعو كلّ المخلصين لعروبتهم ولدينهم أن يتصدّوا للمشروع الأمريكي، الذي يريد أن يطرح مرّة أخرى إسلامًا أمريكانيًا، إضافة إلى عروبة أمريكانية!!

تجدر الإشارة إلى أن المسؤولين في الجمهورية الإسلامية في كل لقاءاتهم مع المسؤولين العراقيين ومسؤولي البلدان العربيّة يؤكدون علناً على ضرورة حضور البلدان العربية في العراق لمساعدته في التغلب على ما يواجهه من تحديات، ولمساعدة الشعب العراقي تجاه ما تنزل به من كوارث، وذلك إيماناً من الجمهورية الإسلامية بأن المسألة العراقية يجب أن تُحَلّ في إطار الدائرة العربية الاسلاميّة، إذ لا يمكن أن يُتوقّع مشروع حلّ يصدر من المحتلين والطامعين.

موضوعات الساعة

حركة الفكر الاسلامي لا تتوقف

أصدر سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله، بمناسبة أسبوع المطالعة السنوي بياناً جاء فيه:

عندما ندرس حركة المستقبل في أنشطة الأمة بعامّة، وفي تطلعات الإسلام، فإننا نستوحي من القرآن الكريم في مفاهيمه التي تعبّر عنها آياته، أنه يخطط لصنع العقل الإنساني الذي ينفتح على آفاق المعرفة، معرفة الله، والخلق والكون... ومن خلاله نفهم كيف أن الله تعالى أعطى الحرية للعقل في أن يفكر في كل شيء، فليست هناك مناطق ممنوعة عليه، وليست هناك عوالم مقفلة أمام تطلعاته، ولا مواقع يمكن أن يُحصَرَ فيها... إننا نستوحي من القرآن الكريم أن هناك إصرارًا على إقحام العقل في كل أوضاع الكون، فالعقل حرٌ يأخذ حريته من الله الذي أوحى له بأن لا حدود لحركته وتفكيره، ولكن على الإنسان أن يتحمل المسؤولية فيما يفكر، ولا بد للإنسان من أن يقدم حساب عقله أمام الله إلى جانب حسابات الجسد، إن للعقل شهادةً يقدّمها أمام الله: كيف فكّر، وأي منهج سلك، وكيف استنتج، وما هي النتائج التي توصّل إليها؟

وتابع: إننا نحتاج في القراءة أن نستجمع كل ما انطلق به

المبدعون، لا لنتجمّد أمام إبداعاتهم، ولكن لنحاول أن نرتقي في إبداع جديد، وأن ننفتح على ما انطلق به المفكرون، لا لنتجمد أمام ما أنتجوه ولكن لنصنع آفاقاً ثقافية جديدة، إن علينا أن نعدّ العدة بحسب إمكاناتنا لبناء أجيال جديدة تفكر بطريقة علمية ونقدية وتضيف أشياء جديدة إلى تراث الآخرين، وتنفتح من خلال ذلك على المستقبل. علينا ألا نقرأ القراءة الساذجة التي تستظهر ما تقرأ، بل القراءة العلمية التي تحاول أن تبدع.

وقال: إن هناك من المفكرين من يقول إنّ المسلمين قد توقفوا عن إنتاج الفكر بعد ابن رشد وابن خلدون، ونحن نقول إن حركة الفكر الإسلامي لا تتوقف، وقد نجد عمقًا في تجربة معينة وسطحًا في تجارب أخرى، ولكن الأمة لم تكف عن إنتاج المفكرين كصدر الدين الشيرازي وكالسيد محمد باقر الصدر وغيرهم في مصر وإيران ومواقع أخرى، ولكن المسالة أن تجارب الفكر تختلف...

إن علينا أن نكف عن أن ننحني بعقولنا لأية جهة من الجهات مهما كبرت، أو أن نسلّم تسليمًا مطلقًا لأية جهات قيادية سياسية كانت أم مرجعية، بل أن نعمل لاكتشاف نقاط الضعف في القيادات، ولا نكتفي عند التحديق في نقاط القوة الكامنة في شخصياتهم، وعلينا أن نعرف أنه لا مقدّس أمام النقد، فيمكن أن ننقد أعلى المرجعيات الدينية وأكبر المرجعيات الثقافية وأبرز المرجعيات السياسية... لقد خلق الله الإنسان حرًا في عقله وعلمه

وحركته، وعلينا أن لا نستعبد عقولنا وأنفسنا لأحد ولا نسترقّها أمام أحد، وعلى القيادات أن تتقبّل كل نقد علمي بنّاء، ولا تهرب من مسؤولياتها أمامه... وعلينا أن نعرف أن الله وحده هو المعبود وأنه سيحاسبنا على تقصيرنا في مسألة الإحساس بالحرية، لنقدم حساب الحرية بين يديه، ليجزينا على ما أصبنا فيه، ويحاسبنا على ما قصّرنا فيه أيضًا.

الحوار مع المجلس البابوي للفاتيكان

عارض الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب لإسلامية سفر الوفد الإيراني الى روما للحوار مع المجلس البابوي للفاتيكان.

وقال:"شخصياً أخالف هذا السفر، ولكن ليس لي علم بالوفد الإيراني متى وكيف تشكل ولكني أنا وبقية أعضاء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين نعارض الحوار مع الفاتيكان.

الجدير بالذكر ان آية الله التسخيري والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يعارضون أي حوار مع البابا بنديكت السادس عشر قبل اعتذاره بسبب اساءاته للاسلام.

إزالة الحواجز بين المسلمين وغيرهم

لم تعرف البريطانية ريكا هيكمان سوى أقل القليل عن الإسلام، وكانت تنظر إلى الحجاب كرمز لكبت المرأة، إلا أن

موقفها تحول تمامًا بعد حفل عشاء جمعها بزوجين مسلمين.

والذي خرجت منه لتدشن مبادرة حملت اسم "تعشَّ عندي" لدعم التواصل بين المسلمين وغيرهم في بريطانيا، وإذابة الجليد الفاصل بين الجانبين .

وتقول ربيكا التي تقطن بمدينة "هاي ويكومب" بجنوب مقاطعة باكينجهام البريطانية: "كان أول لقاء لي بالزوجين خديجة وعبيد حسين في يوم مفتوح نظمه مسجد المدينة عقب الاعتقالات التي تمت عام ٢٠٠٦ لعدد من مسلمي مدينتنا بتهمة الإرهاب وسببت صدمة لكثير من الناس."

وتضيف في تصريحات نقلتها صحيفة "الإندبندنت" البريطانية: "كانت الفعالية تهدف إلى تشجيع الاندماج والتواصل بين المسلمين وغيرهم من أبناء المدينة، وعندها شرعنا نتحدث أنا وعبيد عما يمكننا فعله أيضًا لدعم الفكرة."

واقترح عبيد وربيكا فكرة تتعلق بتنظيم حفلات عشاء تجمع أهالي المدينة من المسلمين بغيرهم أطلقوا عليها "تعشَّ عندي"، واستضافت ربيكا أول حفل في منزل والدتها .

وحول أثر هذه التجربة الأولى لفكرة حفل العشاء قالت ربيكا: "أول مرة رأيت خديجة لم أر فيها سوى حجابها، ولكنني في هذا الحفل رأيت امرأة مختلفة تمامًا."

وأردفت: "في خلال ساعة من بدء العشاء أدركت مدى قلة معلوماتي عن الإسلام، وأنني لست وحدي في ذلك"، معربة عن

شعورها بالحرج؛ لأنها لم تكن تعرف سوى القليل عن دين جيرانها المسلمين.

وعقب حفل العشاء الأول قرر الزوجان خديجة وعبيد دعوة مزيد من الضيوف، فقاما بطباعة نشرات ولصق ملصقات في أرجاء المدينة، تعلن عن دعوات أخرى وجهها عدد من سكان المدينة لاستضافة حفلات العشاء، فيما تعلن ملصقات أخرى عن دعوة البعض الآخر للحضور.

من جهته يرى عبيد حسب اسلام اون لاين أنه: "بالنسبة للمسلمين لا تقتصر فائدة هذه التجمعات على تعلم المزيد حول المسيحية فقط، وإنما تتعداها لمعرفة كيفية التواصل مع الآخر من خارج مجتمعي."

ويستطرد: "بعض المسلمين يخفون رءوسهم في الرمال ولا يتعاملون سوى مع من يعرفونهم فقط"، معربًا عن أمله في أن تساعد حفلات العشاء المجمعة على تغيير هذا الوضع.

وشهدت الحفلات التي خلت من الخمور تجمعات نسائية لمن هن فوق الأربعين، وأخرى للشابات في العشرينيات من أعمارهن.

مفكر ألماني:

لمَ الخوف من الإسلام؟!

في وقت تتصاعد فيه موجة "الإسلاموفوبيا" بالغرب أكد المفكر الألماني "ديتريش ريتز" أنه لا مبرر لخوف الغربيين من الإسلام،

مرجعا تخوف الألمان منه لعدة أسباب يتقدمها فهمهم "المغلوط" للإسلام.

وقال" ريتز" الباحث بمركز برلين للدراسات الشرقية: "لا داعي للخوف من المسلمين، ومن مظاهر التزامهم بعقيدتهم مثل أداء الصلاة بالمسجد وصيام رمضان؛ لأن ذلك يرتبط بجوانب ثقافية، وليست دينية فقط."

وأكد في حوار أجرته معه مجلة "دير شبيجل "الألمانية، ونشرته السبت ١٩ -٤ -٢٠٠٨، أن "جميع المؤسسات الإسلامية بألمانيا تحترم النظام القضائي والدستور."

كما أن "الأغلبية العظمى من مسلمي ألمانيا يتصرفون بسلام، بعيدًا عن العنف والتعصب، وليس من الممكن الربط بين المشكلات التي تحدث في بعض المناطق المضطربة اجتماعيًا وبين الإسلام أو غيره من الديانات."

مؤتمر علمي

توقيت مكة بدلا من جرينتش الوهمي

دعا علماء مسلمون في مجال الجيولوجيا والشريعة إلى اعتماد توقيت مكة المكرمة كأساس للتوقيت العالمي الموحد بدلا من توقيت جرينتش المعروف؛ بعدما أثبتت الأبحاث العلمية دقة النظرية القائلة بأن مكة المكرمة هي مركز الكرة الأرضية.

جاء ذلك خلال المؤتمر العلمي "مكة مركز الأرض بين النظرية والتطبيق" الذي عقد في العاصمة القطرية الدوحة، وتم

الكشف فيه عن ساعة إسلامية اعتبرها المشاركون بمثابة تطبيق عملي لدعوة استبدال توقيت مكة بتوقيت جرينتش، حيث إنها تقوم بتحديد اتجاه القبلة من أي مكان في العالم، وتدور عقاربها مع حركة الطواف حول الكعبة الشريفة من اليسار لليمين على عكس عقارب الساعة التقليدية.

مكة مركز الأرض

من جانبه أوضح د. زغلول النجار أن مكة المكرمة تتوسط اليابسة، واستشهد على ذلك بما توصل إليه الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين في أثناء تحديده لاتجاهات القبلة من المدن الرئيسية في العالم، فلاحظ تمركز مكة المكرمة في قلب دائرة تمر بأطراف جميع القارات السبع التي تكوّن اليابسة.

وأشار النجار إلى أن الأماكن التي تشترك مع مكة المكرمة في نفس خط الطول ينطبق فيها الشمال المغناطيسي (الذي تحدده الإبرة المغنطة في البوصلة) مع الشمال الحقيقي الذي يحدده النجم القطبي.

وأوضح العالم الجيولوجي أن ذلك يعني أنه "لا يوجد أي قدر من الانحراف المغناطيسي على خط طول مكة المكرمة، بينما يوجد عند جميع خطوط الطول الأخرى بما فيها خط جرينتش؛ حيث يبلغ مقدار الانحراف المغناطيسي عند خط جرينتش ٥.٨ درجات إلى الغرب."

وأشار النجار إلى أن "الإنجليز فرضوا خط جرينتش كمعيار للتوقيت على العالم بالقوة أثناء الهيمنة الاستعمارية البريطانية التي زال ظلها وبقيت آثارها."

ندوة السيد جمال الدين في الدوحة

اقيمت في الدوحة يوم التاسع من شهر مارس ٢٠٠٨ ندوة تحت عنوان السيد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) والتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، بالتعاون بين المستشارية الثقافية الايرانية في قطر والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

شارك في الندوة الأمين العام للمجمع فضيلة الشيخ محمد علي التسخيري ومساعده للشؤون الدولية الدكتور محمد حسن تبرائيان، ومفكرون من لبنان ومصر وقطر وفلسطين وسورية والسودان.

وفي جلسه الافتتاح ألقى الشيخ مشعل بن جاسم آل ثاني رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث القطري والسفير الايراني والمستشار الثقافي الايراني كلمات بالمناسبة، وأدار الجلسات الدكتور تبرائيان.

ودارت أوراق الندوة حول الدور الذي يستطيع أن ينهض به مشروع السيد جمال الدين لمواجهة التحديات الراهنة بعد إعادة انتاجه وتقديمه بما يتناسب والظروف الراهنة.

مؤتمر المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية في القاهرة

انعقد المؤتمر السنوي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر بدورته العشرين خلال الأيام من ١٦ -١٩ مارس ٢٠٠٨ تحت عنوان «إحلال الامن الاجتماعي في الإسلام». شارك في هذه الندوة فضيلة الشيخ محمد علي التسخيري الامين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهبالاسلامية بدعوة من الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الاوقاف المصري ورئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر كما شاركت وفود من ٧٥ بلدًا اسلاميًا.

وكانت ورقة فضيلة الأمين العام للمجمع تحت عنوان: «دور الوقف في تحقيق العدالة والأمن الاجتماعي».

وتناولت دور مؤسسات المجتمع المدني في تنمية المجتمع الإسلامي وتحقيق العدالة والأمن فيه، مركزًا على دور الاوقاف باعتبارها الظاهرة التي نهضت على مرّ التاريخ الإسلامي بدور هام حضاري واجتماعي واقتصادي في البلاد الإسلامية.

إحدى علامات الحياة في المجتمع أن يقوى التضامن بين أفراده، خصائص الموت أن تتلاشى الاعضاء وتتفرق وتنفصل عن بعضها، وخاصية الحياة في المجتمع التضامن والاتحاد بين اكثر أعضائه وجوارحه. وهل المجتمع الاسلامي اليوم مجتمعًا حيًّا أم ميتًا؟...

الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري

القراء الكرام

بهذا العدد نبدأ السنة الثانية من «ثقافة التقريب» ونعيد ما قلناه في العدد التجريبي الأول والعدد الأخير من السنة الماضية (العدد ١٠) أننا نستهدف:

١ - تقديم مفاهيم التقريب وقضاياه باختصار، ومحاولة تطوير الأسلوب لينسجم مع حجم المقال والذوق الأدبي.

٢ - التركيز على الجوانب العملية القائمة في الساحة وفي الأذهان بشأن وحدة الأمة الإسلامية.

٣ - التوجّه إلى الثقافة العامّة للتنوير ولمعالجة الإشكاليات على ساحة أوسع من المهتمين بقضايا الأمة.

٤ - ربط قضية التقريب بالمشروع الكبير للأمة وهو تفعيل ثقافتها وتوجيه حركتها نحو استعادة وجودها الحضاري.

والذي شجّعنا على المواصلة ما وصلنا من رسائل وما نُشر عن «ثقافة التقريب» في الصحف والمجلاّت.

نتقدّم أولاً بالشكر لكلّ من ساندنا، ونطلب من القراء الكرام أن يتفضلوا علينا بملاحظاتهم ونقدهم ومساهماتهم على العنوان:

azarshab@mohammadali.com